



Looloo

www.dvd4arab.com

بقلم : روبرت هانسلين
ترجمة واعداد :
د. أحمد خالد توفيق

قريب في أرض غريبة

المؤلف



(روبرت هينلاين Heinlein) كتب
خيال علمي أمريكي ولد في
(ميسوري) عام 1907 ، وتوفي
عام 1988 ، يعتبر هو و(أزيموف
Asimov) و(آرثر كلارك Clarke)
الزوايا الثلاث لمثلث أدب الخيال
العلمي الراقى . وقد فاز بجائزة
(هوجو) التي تقدم لأفضل قصص
العلم عن قصصه (نجم مزدوج - 1956) و(دورية النجوم
- 1960) و(غريب في أرض غريبة - 1962) و(القمر عشيق
فضة - 1967) .

نشرت أول قصة له (خط الحياة) عام 1939 ، وكان أجره
عنها سبعين دولاراً . ومن يومها كتب بفرة اضطرته إلى
اختلاق عدد من الأسماء المستعارة ؛ لأن المجلات ما كانت
لتقبل نشر قصتين للمؤلف نفسه في العدد ذاته .
كانت كتاباته تمتاز بالخصائص الثلاث الأساسية لأدب
الخيال العلمي : حبكات مصممة جيداً - وشخصيات حية - وجدل

روايات عالمية للجيب

سلسلة جديدة ، تقدم لك أروع ما يزخر به الأدب
العالمي ، في مختلف صنوفه ..
من الألغاز البوليسية إلى الرواية الرومانسية ..
من عالم المغامرات إلى آفاق الخيال ..
من الفروسية إلى دنيا الأساطير ..
ومن الشرق إلى الغرب ..
وإلى الحضارة ..
وإليك ..

د. نبيل فاروق

علمي جيد . وكان يتمتع بدقة علمية كبيرة ، مما مكّنه من مزج العلم بالخيال بجرعات مختلفة .

من أهم إضافاته لأدب الخيال العلمي : إدخال علوم لم تناقش من قبل ، مثل : الإدارة ، والسياسة ، والاقتصاد ، واللغويات ، والوراثة ، وما وراء علم النفس .. وهكذا صارت أعماله بذرة للموجة الجديدة في أدب الخيال العلمي . وتعتمد قصصه كلها على الحوار (مقاطع طويلة جدًا منه) أكثر من السرد ، فتتكلم شخصياته كبشر لا كشخصيات خيالية .

كان نجاحه ساحقًا منذ البداية ومنذ نشر قصته الأولى ، وقد دون أفكاره في خطة تدعى (تاريخ المستقبل) . وجاهد كي يجعل المستقبل ذا مصداقية كالحاضر .

من الناحية الصحية كان معتل الصحة ، يتمتع بقائمة أمراض ، منها الدرن الذي أدى لإعاقته من البحرية . عمل في أثناء الحرب العالمية الثانية في تصميم بذلات تتحمل الضغط العالي . وكلفت زوجته الثانية مكسبًا حقيقيًا له ؛ لأنها كانت ملازمًا في البحرية ، تتكلم سبع لغات ، وخبيرة بالكيمياء الحيوية .

بين العامين 1948 و 1962 كتب قصص خيال علمي للشباب ، لا تختلف عن كتاباته للبالغين إلا في نقطة استبعاد

أية تلميحات جنسية ، وجعله الأبطال مراهقين دائمًا . وكنت لهجة المعلم عالية في تلك الكتيبات ، لكن من دون أن يفسد القصة ذاتها . في الوقت ذاته قدّم (هاينلاين) عناوين مهمة مثل (سادة الدمى - 1951) و (الباب المفضي إلى الصيف - 1957) و (النجم المزدوج - 1956) .

تحوّلت قصته (تلميذ الفضاء - 1948) إلى مسلسل تلفزيوني ، ومن قصته (الصاروخ جاليليو - 1947) خرج الفيلم الشهير (الهدف القمر - 1950) الذي اعترف علماء كثيرون في ناسا NASA بأنه جعلهم يختارون هذه المهنة ، ولهذا كرّمته ناسا . هناك عديد من الأفلام السينمائية جاءت من كتبه ، أقربها لنا هو (الكوكب الأحمر) الذي عرض في مصر منذ ثلاثة أعوام .

في عام 1949 وعلى سبيل الدعابة ، اقترح قراء مجلة خيال علمي شهيرة أسماء لقصص تنشرها المجلة ، واتصل رئيس التحرير به طالبًا أن يكتب قصة خيال علمي - بصرف النظر عن موضوعها - يكون اسمها (الخليج) .. هكذا جلس مع زوجته يفكران في الأحداث بالأسلوب المعروف بـ (عاصفة الدماغ) . هنا فكرت زوجته في تقديم نسخة خيال علمي من شخصية (موجلي) .. بطل (كتاب الأدغال) ..

الطفل البشري الذي ربته الحيوانات .. ماذا عن بشري ربته كائنات فضائية ؟ تجاهل للكتب الكبير لفكرة وقتها وكتب عن شيء مختلف تماماً ، وإن ظلت الفكرة في مفكرته عدة أعوام .. هكذا ولدت قصة (غريب في أرض غريبة Stranger in a Strange Land) عام 1962 . ولسوف تكون هذه القصة أهم قصصه وأفضلها ، لقد ناقش فيها كل شيء عن العالم الغربي .. ويعتقد كثيرون أنها نتاج طبيعي لاضطراب المجتمع الغربي في الستينات .. لكن الغريب أن الهيبى وجدوا قدوتهم في هذه القصة ، وعاملوها كأنها كتاب دينى .

يقال عن هذه القصة : إنها دستور الثقافة المضادة .. وإته من الصعب أن يعيش المرء في العالم الغربى دون أن يتشرب منها شيئاً حتى لو لم يكن قد قرأها قط ، لأن الهواء نفسه يفوح بها ، وقد أضافت القصة مصطلحات جديدة للغة الإنجليزية منها Grok ، وهى لفظة مريخية أصلاً بمعنى (الفهم الشامل) ، بل إن هناك كنائس أقيمت باسم (كنيسة كل العوالم) نتيجة لصدور هذه الرواية ، على أن (هاينلاين) نفسه ينفى أن تحوى قصته أية إجابات تقدم للعقول الكسولة ، إنما هى مليئة بالأسئلة التى تدعونا إلى أن نفكر ، بقى أن نعلم أن هذه القصة هى الأعلى مبيعاً فى تاريخ أدب الخيال العلمى .

ابتكر (هاينلاين) كذلك مفهوم (العالم كأسطورة World-as-Myth) الذى يتصور أن كل كون هو فكرة فى خيال مؤلف فى كون آخر . وفى قصته (رقم الوحش - 1980) جعل أبطال قصصه المختلفة يلتقون ، بل يقابلون أبطال قصص لمؤلفين آخرين ، كما ناقش هذه الفكرة فى كتاب (القطة التى تعبر الجدران - 1985) .

كان (هاينلاين) أول كاتب خيال علمى عاش بالكامل من قلمه ، وأول كاتب خيال علمى وضع هذا النوع من الأدب فى قوائم أعلى المبيعات ، واليوم نلقاه لأول مرة فى هذه السلسلة .

★ ★ ★

الجزء الأول عن أصله المختلط

1

ذات مرة حين كان العالم في بدايته ، كان هناك مريخي يدعى (سميث) .. كان (فالتين مايكل سميث) حقيقياً مثله كمثل الضرائب ، لكنه كان نسيجاً وحده .

تم اختيار أول حملة من (تيرا) ^(*) إلى المريخ ، على أساس أن الخطر الأكبر على الإنسان في الفضاء هو الإنسان ذاته ، وفي هذا الوقت المبكر - ثمانية أعوام من تأسيس أول مستعمرة بشرية على (لونا) - فإن أية رحلة بين الكواكب كانت تتم في مدارات رتيبة لها شكل القطع الناقص مزدوج التماس .. 258 يوماً من (تيرا) إلى المريخ ، والشئ نفسه للرجوع ، بالإضافة إلى 455 يوماً على المريخ ، بينما الكوكبان يزحفان لموضعيهما التقريبيين اللذين يسمحان برسم مدار القطع الناقص ثنائي التماس ، وهو ما يعنى ثلاثة أعوام أرضية .

كانت الرحلة طويلة جداً ومحفوفة بالمخاطر ، وكان على القابوت البدائي الطائر المعروف باسم (المبعوث) أن يتزوّد (*) يستعمل هذا الاسم للدلالة على الأرض ..

بالوقود من محطة فضائية ، وكان عليه كي يتمكن من العودة ألا يتهشم في أثناء الهبوط على المريخ ، وأن يجد الماء من أجل خزانات التفاعل ، وأن يجد نوعاً من الطعام على المريخ ، وألا يحدث خلل في آلاف التفاصيل الأخرى .

لكن الخطر الملقى كان أقل من الخطر النفسى .. ثمانية بشرين متراحمين كالقردة ثلاثة أعوام .. كان عليهم أن يتحملوا بعضهم أفضل مما يفعل البشر عامة ، وقد ثبت من تجارب سابقة أن الطاقم المكون من الذكور فقط ليس مستقراً اجتماعياً ، لهذا تقرر أن يكون هناك أربعة أزواج على السفينة بحد أقصى .. وقد راحت جامعة (أدنبرة) تحليل القدرات المطلوبة للرحلة لدى عدد هائل من المتطوعين ، مع إجراء اختبار تكافؤ ، كان الكابتن (مايكل بركات) هو الملاح ، ويبدو أن هناك من ساعده في المؤسسة كي يجد رفيقة للسفر .. وقد راحت أجهزة الحاسب الآلى تبحث بعناية ، وهذا يفسر سفره إلى أستراليا ليطلب الزواج من دكتورة (وينيفريد كوبرن) ، وهى عانس لها وجه يشبه الحصان ، وتسبقه في العمر بتسعة أعوام .

كان الطاقم يملك مجموعة متكاملة من الخبرات ، وإن كان أكثرها قد اكتسب في أثناء التدريب المكثف في الأسابيع الأخيرة قبل الإطلاق ، بالإضافة لهذا كانوا متوافقين في الأمزجة .. ربما متوافقين أكثر من اللازم .

مر ربع قرن آخر إلى أن زار البشر المريخ ثانية ، بعد ستة أعوام من صمت (المبعوث) ، تم إرسال مسير يوجه باللاسلكي بلاطيوار ، اسمه (زومبي) تموله الجمعية الجغرافية والجمعية الفلكية الدولية ، وقد اتخذ مداراً لفترة تنتظر معينة ثم عاد ، وكانت الصور التي أرسلها المسير تبين علماً غير رحب للبشر على الإطلاق ، إلا أن المسير (زومبي) أظهر بوضوح أن القنوات على سطح المريخ ، تم حفرها بعمل هندسي معين ، وثمة ما يبدو كخرائب مدن ، وبالتأكيد كان البشر سيرسلون حملة أخرى لو لم تتشب الحرب العالمية الثالثة .

أفاد هذا التطور الأخير في أن الحملة التي انطلقت بعد هذا كانت أفضل كفاءة وتجهيزاً ، بطاقم كله من خيرة الملاحين الذكور انطلقت الرحلة ، وهبطت المركبة عند (ليكاس سولي) .

كانت المركبة تبعث إشارات لها للأرض يومياً ، إلا أن ثلاث رسائل كانت جديرة بما هو أكثر من الاهتمام العلمي ، كانت الرسالة الأولى تقول :

أقمت (المبعوث) في الموعد المحدد بلامشاكل ، وفي الجزء الأول من الرحلة كانت رسائلها اليومية تلتقط بلا عسر ، وبدأ أن الطاقم سعيد وبصحة جيدة ، كان ولاء القراع الصلي هو أسوأ شيء اضطر د. (سميت) للتعامل معه ، ولم يحتاج أحد من الفريق لتعاطي العقاقير المضادة للغثيان .

ثم وصلت (المبعوث) إلى المدار الذي تتوقف عنده في مدار القمر (فوبوس) ، وأعطت أسبوعين في المسح الفوتوغرافي ، ثم أرسل كابتن (برانت) رسالة بالراديو :

« سوف نجرب الهبوط الساعة 1200 بتوقيت جرينتش

غداً .. جنوب (ليكاس سولي) .. »

ولم تصل أية رسالة أخرى بعد هذا .

- « وجدنا السفينة (المبعوث) .. لا أحياء .. »

الرسالة الثانية التي هزت العالم كانت تقول :

- « العريخ مسكون .. »

أما الثالثة فتقول :

- « تصحيح الرسالة 23-105 .. هناك ناج واحد من (المبعوث) ^(*) .

★ ★ ★

3

كان الكابتن (ويليام فان ترومب) رجلاً يتمتع بحسن
بصيرة عالٍ . وقد أهرق يقول :

- « إن المسافر الذي معي .. أكرر .. المسافر الذي معي
لا يجب أن يتعرض لضغوط الاستقبال الشعبي الصاخب ..
أعدوا وسائل مواصلات أحادية الجاذبية .. ومحفة وخدمة
إسعاف وحرساً .. »

وأرسل طبيب السفينة د. (نلسون) للتأكد من نقل
(مايكل سميث) بنظف على فراش مائي ، وحمايته بوساطة
رجال البحرية ، حينما تم وضع (فالنتين) على المحفة كان
وزير العلوم يقول مشاكساً :

- « من المفهوم يا كابتن أن سلطتك على ما كان حتى
للحظة حملة علمية ، تعطيك الحق في طلب رعاية طبية غير
معتادة ، أو طلب حراسة ، لكني الآن لا أفهم لماذا تتدخل في
شئون إدارتي الخاصة .. إن (سميث) كنز مهم للعلم .. »

- « أعتقد هذا يا سيدي .. »

- « إذن لماذا ؟ »

(*) إن نعرف الكثير مما حدث هناك .. فقط سنعرف أن (مايكل)
هو ابن طبيب السفينة الذي رباه المريخيون بعد هلاك البعثة .

ثم قطع كلمته ، واستدار إلى وزير السلام والأمن العسكري وقال :

- « (بفيد) .. هلاً أصدرت أوامرك لهؤلاء القوم ؟ لا يمكن أن يترك المرء أشخاصاً من وزن البروفسور (كنيدى) والدكتور (أوكليما) ينتظرون .. هذا ليس على سبيل الحصر طبعاً .. »

نظر الوزير متسائلاً إلى الكابتن ، لكن هذا هز رأسه :

- « لا يا سيدى .. »

- « لماذا يا كابتن ؟ »

- « (سميث) ليس على ما يرام .. لم يجرب من قبل مجالاً أحادى الجاذبية .. إنه يزن الآن أكثر مما كان مرتين ونصفاً .. وعضلاته لم تعتد هذا .. لم يعتد أى شيء أرضى ، وعلى الأرجح سيكون الجهد كبيراً عليه .. بحق أجراس الجحيم أنا نفسى متعب يا سادة ، برغم أننى ولدت على هذا الكوكب .. »

قرّر الكابتن أن يكون خشناً ، وقد قدر أنه حتى الوزير لن يستطيع أن يكون فظاً مع قائد أول رحلة أرضية تصل إلى المريخ . هكذا قال بعصبية :

- « ألا تريان أنه ليس بشرياً ؟ »

- « فسر لنا يا كابتن .. »

- « ليس بشرياً .. إنه كائن ذكى يحمل جينات البشر ، لكنه ليس بشرياً .. إنه مريخي أكثر منه بشرياً .. وحتى اللحظة التى قابلناه فيها لم يكن قد رأى بشراً قط .. يحسب نفسه مريخياً ويشعر كالمريخيين .. لقد رياه جنس يختلف بالكامل عنا .. إنه إنسان بالجينات ، لكنه مريخي بالبيئة .. لو أردتم أن تدفعوه للجنون فأحضروا علماءكم منتفخي فرعوس .. لا تمنحوه فرصة للتحسن .. اعتصروه كبرتقالة .. لا تعطوه فرصة كي يعتاد مستشفى المجانين هذا .. »

ساد الصمت حتى قال وزير العلوم :

- « لو لم يظهر فى وسائل الإعلام نعم الشعب .. الناس ينتظرون أن نعرض عليهم كائنات مريخية ، فبان لم نفعل كان علينا أن نريهم هذا الـ (سميث) .. »

قال الكابتن :

- « لاجدوى من عرضه ، ولن يحب الناس ما سيرون .. المشكلة فى التفاهم مع المريخيين أنك تشعر بأنك تتعامل مع صدى .. لا تتلقى اعتراضاً لكنك لا تتلقى إجابات كذلك .. »

- « مشكلة لغوية ؟ ربما كان عليك أن تحضر عالم لغوياتك .. لقد نسيت اسمه .. أو هو ينتظر بالخارج ؟ »

- « (محمود) ياسيدى .. لا .. (محمود) ليس على مايرام .. انهيار عصبى بسيط .. »

- « دوار الفضاء ؟ إذن هاته حين يصير بخير .. »

كان (سميث) فى هذا الوقت منهمكاً تماماً فى محاولة البقاء على قيد الحياة ، كان جسده مضغوطاً ليناسب الفضاء غير المعقول فى هذا المكان .. وقد أراحته نوعاً نعمة الملوئ الذى وضعه فيه هؤلاء الآخرون ؛ لهذا وجهه مستواه الثالث إلى نبضه وتنفسه ، لقد لاحظ أنه يستهلك قواه وأن رئتيه تعانيان ، ونبضه يتسارع ، وأن حرارة الجو تخنقه .

حين هبط بسرعة قلبه إلى عشرين فى الدقيقة ، وصار تنفسه غير محسوس ، ضبطهما على هذا المعدل ، وراح يراقب نفسه ، ثم بدأ يركز المستوى الثانى على الحرس .

من أين يبدأ ؟ منذ ترك الوطن ؟ أم منذ وجد نفسه فى هذا الفضاء المهشم ؟ لقد هوجم فجأة بالأضواء والأصوات لدى الوصول ، وهو يشعر بهذا ثائية ، بألم لا يوصف ، يعود بذاكرته للوراء .. قبل التنام الجرح الذى أحس به يوم أدرك أنه يختلف عن إخوته فى العش .. يعود لذكرى العش ذاته .

لم يكن أى من أفكاره يتعامل برموز الأرض .. كان قد تعلم بعض الإنجليزية ، لكنه يستعملها بصعوبة ككلمة رجل هندي ،

يحاول التفاهم بها مع رجل تركى ، كان يستعمل الإنجليزية كما يتعامل المرء مع كتاب شفرة ، مجهذاً نفسه لترجمة كل رمز ، لقد اختلفت ثقافة المريخين كثيراً جداً عن ثقافة البشر .

فى الغرفة المجاورة كان هناك طبيب مقيم يدعى (تاديوس) يلعب (الكريج) مع (توم ميتشوم) الممرض .. وكان (تاديوس) ينظر بعين واحدة إلى العدادات والمؤشرات ، وعينين على أوراق اللعب ، لهذا حين رأى ضوءاً ينذره بأن سرعة النبض قد هبطت من 90 إلى أقل من 20 فى الدقيقة ، فباته ألقى بالأوراق وجرى إلى الغرفة والممرض خلفه .

كان (سميث) يطفو فى الفراش المائى وقد بدا كالميت ، أطلق (تاديوس) سبة وهتف :

- « اطلب دكتور (نلسون) ... »

هرع الممرض خارجاً .. بينما تفحص الطبيب المقيم المريض بعناية ، وإن حاول ألا يلمسه ، أخيراً جاء طبيب أكبر سنّاً يمشى بذلك الخرق المميز لرجل قضى فترة طويلة فى الفضاء الخارجى ، وسأله :

- « حسن يا دكتور ؟ »

- « لقد هبط نبضه وتنفسه وحرارته فجأة منذ دقيقتين

ياسيدى .. »

- « وماذا فعلت له ؟ »

- « لا شيء يا سيدي .. تعليماتك .. »

- « أحسنت صنعاً .. »

وتفحص (سميث) ثانية ، ثم قال :

- « أخبرني لو جئتُ جديد .. »

وغادر المكان ، فصاح الطبيب المقيم محتجاً ، لكن (نلسون) قال له :

- « استرخ يا بنى .. لقد رأيت هذا المريض في هذه الحالة ست مرات في أثناء العودة .. هذا لا يعنى شيئاً .. »
ورفع ذراع المريض اليمنى وتركها ، فظلت حيث هي ،
سأله (تاديوس) :

- « هل هو (كاتاليسى Catalepsy) ؟ »

- « سعه ما تريد .. إن تسمية الذيل قديماً لا تجعله كذلك ..
لا تقلق .. لا يوجد شيء معتاد في هذه الحالة .. »

شعر (سميث) بزيارة الأطباء ، لكنه فهم أن نواياهم حميدة^(*) ..

(*) استعملت ترجمة (يلهم / يستوعب) للتعبير عن فعل Grok المريخي ، والذي يتكرر كثيراً جداً في هذه القصة ، وهي ترجمة غير دقيقة لكنها المخرج الوحيد الممكن لى . لفظة Grok تعنى الفهم الكامل من دون استعمال المنطق ، والذي قد يصل إلى قلهام الشيء (لستوعبه) .

بدأ نبضه وتنفسه يعودان للمستوى العادى ، وقد شعر بوجود كائن حي في الغرفة معه ، شيء طويل الأقدام كان يهبط من السقف ويدور حول نفسه ، وقد راقبه (سميث) في ابتهاج ، وتساءل إن كان هذا شكلاً من أشكال أفراح الإنسان .

هنا دخل د. (آرثر) الطبيب المتقدم في العصر الذى يساعد (تاديوس) وقال :

- « صباح الخير .. كيف الحال ؟ »

أدار (سميث) السؤال في ذهنه .. كان يعرف أن الجملة الأولى نوع من الأصوات الشكلية ، التى يمكن الرد أو عدم الرد عليها ، أما الجملة الأخرى فكانت تحمل أكثر من ترجمة في ذهنه .

شعر بعدم الراحة المصداً مع تلك الكائنات ، لكنه حاول أن يفرد جسده وقال :

- « أنا بخير .. »

- « د. (نلسون) سيكون هنا خلال دقيقة .. هل لك فى الإفطار ؟ »

كان (سميث) يفهم الرموز في الجملة الأخيرة ، لكنه لم يصدق أنه سمع ما سمع ، كان يعرف أنه نوع من الطعام (إفطار) ، لكنه لم يعرف كيف (يكون له في الإفطار) .. هل معنى هذا أنه قد يتم اختياره للالتهام ؟ لم يتصور قط أن يحظى بهذا الشرف الكبير بهذه السرعة ..

جاء د (نلسون) وفحصه ، ثم سأل عما إذا كانت هناك حركة معوية ، فكانت الإجابة لا ..

ناولوه سلطانية طعام وأطعموه ملعقة أو اثنتين ، ثم ناولوه الملعقة ليأكل بنفسه ، وقد أشعره هذا بالفخر ؛ لأنه أول عمل يقوم به منذ جاء هنا ..

الآن كان عليه أن يجلس وينهض .. يمشي .. ثم قاموا بإفراغ الفراش من الماء قليلاً ، ليحرب جسده الضغط .. على كل حال كان يثق بالدكتور (نلسون) .

كانوا قد قصوا شعره وشاربه .. لكن أهم شيء كان وجهه الخالي من التعبير الشبيه بوجه طفل ، بعينه اللتين كان يناسبهما أكثر وجه عجوز في التسعين ، جرب أن يمشي خطوة .. خطوتين .. ثم توقف وابتسم ابتسامة مشرقة طفولية ، فصفق (نلسون) :

« ولد طيب ! »

فجأة سقط ، فاستطاع الطبيب أن ينقذاه قبل أن يهوى أرضاً ، وكان قد اتخذ وضع الجنين ، لذا لا تقوا الأمرين كي يعدها إلى الفراش . وقال (نلسون) :

« حسن .. ستكرر هذا عصراً وغداً .. ثم نبدأ التمرينات بشكل منتظم .. بعد ثلاثة أشهر سيتأرجح بين الأشجار كالقرد . فلا توجد مشكلة معه . حين يلبق علمه استخدام الحمام وليكن للممرض معك .. لا أريده أن يسقط أرضاً .. »

جاء موعد الغذاء فأكل (مايكل) وحده .. هنا دنا منه العامل ليحمل الصينية ، وهمس في أذنه :

« اسمع .. لدى لك صفقة سميئة .. فرصة لتحصل على مال كثير . »

« مال ؟ ما هو (مال) ؟ »

« دعك من الفلسفة .. ستكلم بسرعة .. لنا أمثل مجلة (بيرلس فيشرز) .. سوف ندفع لك ستين ألفاً مقابل أن تخصصنا بقصتك .. كل ما عليك أن تجيب عن أسئلة ، وهم سيصنعون من الإجابات مقالاً .. هيا وقّع هنا لأن المبلغ معي . »

ثم ناوله ورقة ، فتفحصها (سميث) وأمسكها بالمقلوب ..

- « يا الله ! ألا تعرف كيف تقرأ الإنجليزية ؟ »

- « لا أعرف .. »

- « حسن سأقرأها عليك ، وبعدها تبصم بلبهامك وأشهد أنا على ذلك أقرأ أنا (فالتين مايكل سميث) أنني أمنح الحقوق الكاملة لقصتي الحقيقية لجريدة (بيرلس فيتشرز) ، كي تنشر قصتي تحت اسم (كنت سجيناً في المريخ) . »

- « أيها العامل . »

كان هذا هو د (فريم) الذي وقف على الباب ، فأخفى العامل الورقة في جيبه ونهض ..

- « ما الذي كنت تتلوه من ورقة ؟ »

- « لا شيء .. »

وهكذا خرج الرجلان ، ولنصف ساعة ظل (سميث) ينظر للسقف .. لكن برغم الجهد الذي بذله ، لم يستطع أن يفهم الموضوع على الإطلاق .

★ ★ ★

طلب (بن كاكستون) الصحفي أن يقابل صديقه الممرضة الحسنة (جيل بورمان) بعيداً عن المركز .. (جيل) ممرضة فضولية تسأل ذات مرة إلى (سميث) لتراه ، وقد أثار فضولها أن تعرف أنه لم ير امرأة في حياته .. لم يخو لقاءها مع (مايكل) أي جديد فيما عدا براعته الشديدة ، وقد بدا لها أقرب إلى طفل ..

تم لقاء (كاكستون) مع (جيل) بعيداً عن المركز .. هذا هو الطريق الوحيد لعدم إثارة الشبهات .. فلقاء صحفي وممرضة في هذه الظروف من الكتمان يضي الكثير .. إن كليهما يجلب الشبهة على الآخر .. كأن أحدهما مصاب بالجذام أو هما معاً .. وعرفت أنه يريد منها أن تجلب له بعض معلومات عن ذلك القادم من المريخ .. وقال لها :

- « هذا الـ (سميث) مهم جداً .. أنت لا تعرفين أنه هو وريث للمريخ ! »

قالت في دهشة :

- « لا بد أنني ثعلت يا (بن) .. أستطيع أن أقسم بك قلت إن هذا الغريب يملك كوكب المريخ ! »

« إنه يملكه فعلاً .. لقد حافظ على الإقامة فيه بلا شريك للفترة المطلوبة قانونياً .. (سميث) هو ملك المريخ .. رئيسه .. الهيئة المدنية الوحيدة فيه .. لقد جاء إلى الأرض لكن حقه ما زال محفوظاً في المريخ .. »

« مذهل .. »

« الآن أنت تفهمين لماذا يهتم كثيرون بـ (سميث) ومعرفة من هو ، ومن أين جاء .. ولماذا تتستر عليه الإدارة .. إنه كذلك مواطن أمريكي ، لهذا هو مزدوج الجنسية .. طريقته في إبقائه بعيداً عن الاتصالات غير قانونية ، لكنه لا يعرف حقوقه .. والان هل تسمحين لي بمقابلته ؟ »

« لقد أثرت هلعي .. ما كنت أعرف هذه التفاصيل .. لو كانوا قد أمسكوا بي هذا الصباح وأنا في غرفته .. »

« ما كانوا ليؤذونك .. فقط يضعونك في زنزاة مبطنة مع شهادة جنون من ستة أطباء .. وربما سمحوا لك بتلقى البريد كل عامين .. هذا الرجل مهم جداً ؛ لأنه يمثل كنزاً علمياً .. ربما هو أكثر أهمية من (نيوتن) و(أينشتاين) و(كبلر) لو خلطتهم معاً .. ثم هو سفير بيننا وبين الجنس الوحيد العاقل الذي قابلناه حتى اليوم .. هل أنت واثقة من أنك لن تساعدني على التسلل ؟ »

« بالطبع لا .. سوف ألتحق بالدير .. »

دخل غرفة في مسكنه ثم عاد لها حاملاً جسماً يشبه للسيجار في حجمه وشكله ، وقال :

« على كل حال ما كنت لأكلفك بهذا العمل الخطر .. لكن هل تقبلين زرع أداة التتصت هذه ؟ »

« لكنني أخاف دخول تلك الحجرة ثاتية .. »

« لا داعي .. إن لهذه الأداة أذن حمار .. ألصقيها بالهلامستر إلى جدار أية غرفة ملاصقة .. استعملي القفلزات قبل لمسها لأنها محرمة قانوناً .. لا تدعي أحداً يمسك بك وهي معك .. »

أضيت الغرفة ، فقد جاءت سيارة التاكسي الآلية التي طلبها في الموعد .. قالت له :

« أنت رائع يا (بن) .. تساعدني على أن أعيش حياة الجريمة التي كنت أتوق لها .. ربما أقبل الزواج منك لو كررت عرضك .. »

« العرض مفتوح دائماً .. »

عش الغراب

بقلم بن كاكستون

يعرف الجميع أن الزنزانات والمستشفيات تشترك في شيء واحد .. كلاهما تصعب مغادرته .. وأحياناً ما يكون السجين أقل عزلة عن العالم الخارجي من المريض ، يمكن أن يستدعي السجين محاميه ، ويمكن أن يطلب شهوداً عدولاً ، ويمكن أن يطلب بالإعلان عن سبب سجنه " habeas corpus " .. لكن في حالة مريض المستشفى تكفى فقط لافتة (ممنوع الزيارة) ، يطلب تعليقها أحد أطباء القبيلة ، كي يغيب مريض المستشفى في غياهب النسيان أكثر من (الرجل ذو القناع الحديدي) .

يستطيع أقارب المريض أن يزوروه ، لكن هذا الرجل المريخى ليس له أقارب .. لم تكن لطاغم (المبعوث) نكد الحظ روابط مع الأرض ، ولو كان للرجل المريخى أقارب يرعون مصالحه ، فإن عدة آلاف من المحققين الصحفيين (مثل كاتبكم الحالي) قد فشلوا في العثور عليهم .

من يتكلم باسم الرجل المريخى ؟ من أمر بوضع حرس مسلح

(*) قاعدة في لفافون الرومانى مضافاً باللاتينية (اظهروا الجثة) أى (اظهروا قمتهم بتهمة أو اطلقوا سراحه فوراً) ..

لم تكن عملية غرس أداة التنصت عسيرة .. دخلت على المريض فى الغرفة المجاورة ، وثبتت الأداة فوق رف ، بينما هى تثرثر مع المريض كيف أن العلامات لا ينظفون جيداً .. وظلت تسجل ما يدور بالغرفة بضعة أيام ، وكانت ترسل ما يتم تسجيله يومياً إلى (بن) . ثم انتزعت الجهاز واتجهت إلى شفته .. كانت تشعر أن جهاز التنصت يحرق ثغرة فى جيبها .. كانت تتكلم حين قابلت (بن) الذى كانت تحبه فعلاً ، لكنه همس فى أذنها :

« لا تقولى شيئاً .. لا أسماء ولا مظلومت .. من المحتمل أن أكون مراقباً أنا نفسى .. »

اقتادها لغرفة الجلوس ، وبدون كلمة ناولته الجهاز .. أدرك أنها تتحلى عن المهمة ، لكنه لم يقل شيئاً .. فقط ناولها طبعة المساء من جريدة (بوست) .. وقال لها :

« هل رأيت الجريدة ؟ ربما تحبين أن تقرئها بينما أغتسل .. »

وأشار إلى عمود .. وها هى ذى أنكرت أن هذا هو العمود ذائع الصيت الذى يكتبه فى الجريدة ..

من حوله ؟ أنا أسألك يا سيدي الأمين العام .. ما للمرض
المعدى الذي يعانى منه هذا البائس حتى يمنع الجميع من
مجرد رؤيته ؟ إن الكلام عن (الإجهاد العام) لا يقتنع أحداً ،
والأستطاعت ممرضة أن تؤدى العمل خيراً من الحرس
المسلحين . هل هذا المرض اقتصادى الطابع ؟ أو فلنقل
بشكل أرقى : هل هو سياسى ؟

راحت (جيل) تقلب الجريدة ، فهي لم تكن تهتم بهذه
التعقيدات السياسية .. عاد (بن) من الداخل ، ووضع فى
حجرها تفريراً للأصوات التى التقطتها أجهزة التجسس ،
وقد أشار إلى الأصوات باسم (الصوت الأول) أو (الصوت
الثانى) . إلى أن يعرف أسماء المتكلمين ، وكانت أغلب
التسجيلات بلا قيمة سوى أنها تخبرك أن (سميث) يتم
إطعامه أو تحميمه ، وكل هذا تحت إشراف من أسماء
(بن) باسم د . (نلسون) .

فجأة جاء تسجيل غريب من نوعه .. وكان كما يلى :

د . نلسون : هناك من يريد لقاءك يا (سميث) ..

سميث : من هو ؟

د . نلسون : إنه كبيرنا ..

سميث : جميل أن أقابل كبيركم . أريد أن أتعلم وأن
أتمو ..

د . نلسون : فى الحقيقة هو سيوجه لك أسئلة ..
بمساعدة (محمود) المترجم صديقك ..

سميث : أنا لا أستطيع أن أعلم الكبير .

د . نلسون : لا تقلق بهذا الصدد ..

يظهر صوت جديد واضح أنه صوت الأمين العام .

د . نلسون : هذا هو كبيرنا يا (سميث) .. سيتحدث
معك ..

الأمين العام : هل سيفهم كلامى ؟

د . نلسون : نعم . لكن أتصحك بأن تستعمل كلمات
وحيدة المقطع قدر الإمكان ..

الأمين العام : حسن .. والآن أنا أرغب فى أن تتركنى
وحدى معه ..

د . نلسون : لا يمكن يا سيدي . إن الأخلاق الطبية تمنع
أن يتم استجواب مريض فى غيابه

الأمين العام : أنا لا أفهم هذا الهراء عن الأخلاق الطبية . أنا محام وسأتكلم كمحام .. هل طلب منك المريض أن تعنى به ؟ هل أعطاك تفويضاً رسمياً لعلاجك ؟

د . نلسون : لا ياسيدى ..

الأمين العام : إذن ليس من حقك الاعتراض على أفرادى به ..

د . نلسون : لكن ياسيدى ..

الأمين العام : لا تأخذ الموضوع بهذا الشكل . لنفترض أننى القريب الوحيد له الآن .. هل تمنع الأم من الانفراد بصغيرها ؟

د . نلسون : لا ياسيدى . سأغادر الغرفة ، لكننى أرحب فى أن تسند مهمة العلاج لشخص غيرى ..

الأمين العام : لن اعتبر هذا القرار نهائياً ، وسوف تناقشه فيما بعد .

تخفت الضوضاء ويبدو أن الأمين العام انفراد بالمريض .

الأمين العام : هل تجيد الكتابة ؟ لا ؟ إذن يمكنك أن تبصم على ورقة ..

سميث : لا أفهم ياسيدى ..

الأمين العام : أريد أن تعلن عدم امتلاكك لشيء معين .. لنضع الأمر بهذا الشكل : أنت لا تملك المريخ ..

سميث : لا أفهم ياسيدى ..

الأمين العام : أنت راغب فى البقاء هنا . أليس كذلك ؟

سميث : لا أعرف .. لقد أرسلنى الكبار إلى هنا (صوت غريب كأنه ضفدع أمريكى يقاتل كلباً) ..

الأمين العام : اللعنة ! كان عليهم أن يعلموه المزيد من الإنجليزية . اسمع يا بنى .. لا تقلق بصدد التفاصيل .. فقط هات إبهامك ، لأضع بصمتك أسفل هذه الورقة .. لا تخف .. لن أؤذيك ! دكتور ! دكتور (نلسون) !

طبيب آخر : دكتور (نلسون) ليس هنا ياسيدى .. لقد رحل .. قال إنك أخذت الحالة منه ..

الأمين العام : هو قال هذا ؟ اللعنة عليه ! هلم لا تقف هكذا ! ألا ترى أن الفتى يموت ؟ أعطه تنفساً صناعياً لو لحقته بشيء ما !

الطبيب الآخر : لا أعتقد أن علينا عمل شيء يا سيدى ..
فقط دعه حتى يفيق وحده .. هذا ما يقوله د. (نلسون) ..

الأمين العام : سحقاً لدكتور (نلسون) !

سميث : لا أفهم يا سيدى ..

هنا جاء (بن) حاملاً المزيد من التسجيلات .. ولكنه لم
يعرضها عليها .. فقط سألها :

« جامعة ؟ »

« أموت جوعاً .. »

« إذن لنخرج ونظفر بشيء يוכל .. »

وفى الخارج صعد على السطح ، واستوقف سيارة (تاكسى)
طائرة كتب عليها (بالتيمور) ، وركبها .. قالت له :

« لماذا لم تطلب سيارة تاكسى من شفتك ؟ »

« لو كنت أنا لراقب الحكومة ، فمن الوارد أن تراقبني هي ..
إن احتمالات أن يرسلوا (تاكسى) مفخخاً لى أمر وارد ،
لكن التاكسى الذى نركبه قد اخترته بشكل عشوائى .. من
الصعب أن يتحسبوا ويضعوا فيه أجهزة تنصت .. »

قالت فى رعب :

« (بن) .. أنت لا تعتقد أن ... »

« أنا أتوقع كل شيء .. صحيح أن واجب المعارضة
هو أن تعارض ، لكن هذا الموضوع مهم .. لقد وجه مقالى
ضربة حساسة للحكومة .. اتهمتها بأنها تحتجز سجيناً
سياسياً بدون وجه حق .. أنا أعتبر الحكومة كائنًا حياً ..
وككل كائن حى لديها غريزة عمية تدفعها للحياة ..
هاجموها ولنسوف ترد بعنف .. وهذه المرة أنا وجهت ضربة
قوية للحكومة .. »

لم تكن تتصور نفسها فى موقف كهذا .. بالنسبة لها كان
أعنف ما مر بها هو حرب العصابات المرحبة بين
الجنسين .. وهى قد رأت الكثير من العنف فى مهنتها
كممرضة ، لكنها لم تتخيل قط أن يوجه هذا العنف لها ..

قل لها :

« لو ساءت الأمور أكثر من اللازم ، فلا تنسى اسم (جوبيل
هيرشو) .. إنه الرجل الذى يعرف كيف يساعدنا .. »

كان (بن كاكستون) قد أعد عدته للتسلل إلى (فالنتين مايكل سميت) ..

الحقيقة أن أحداثاً معينة جعلته يتخذ هذا القرار .. لقد ظهر (فالنتين) على الشاشة مع الأمين العام .. وقد شكر الحكومة على جهودها وكان ودوداً .. لم تكن هناك سوى مشكلة واحدة هي أنه ليس هو ! نعم .. استطاعت (جيل) أن تدرك هذا ، برغم أنها لم تر (مايكل) إلا مرة واحدة .. فإنها لم تكن لتخطئ تمييز وجهه الطفولي الغريب .. لقد تم اختيار ممثل يشبهه ليواجه الإعلام ..

أدرك (بن كاكستون) أن وراء هذه الخدعة الحكومية سرّاً ما . إما أن (مايكل) قد مات . ربما قتل ، وهو حل لابس به ؛ لأن معنى موته من دون ورثة ، هو أن تراث الحكومة ثروته ، التي هي كوكب المريخ بالكامل .. وإما أن الحكومة نقلته إلى مكان لن يرى فيه النور أبداً .. وهنا فقط قرّر أن يتسلل لمقابلة (مايكل) . لن يكون وحده هذه المرة ، بل سيصحب محامياً وشاهداً عدلاً . وسوف يواجه الحراس بحقيقة أن منعهم له جريمة يعاقب عليها القانون ؛ لأنه ليس من حق الحكومة منع الصحفيين من مقابلة مريض في المستشفى ..

كان محظوظاً ؛ لأنه أفتع (جيمس أوليفر كافنديش) بأن يكون شاهده . كانت للرجل مكانة عظيمة إلى حد أن الأمر لن يحتاج إلى محام .. لقد شهد أمام المحاكم العليا الفيدرالية عدة مرات ، ويقال إن رأسه يحوى وصايا لا تقدر بالبلايين بل التريليونات .. كان يلبس الأبيض من ذقنه إلى أخمص قدميه كما تقضى مهنته ، وقد ذكر منظره (بن) بتمثال الحرية .. إن الشهود الدول مهنة خاصة في هذا العالم ، وهم أشخاص يتمتعون بذاكرة فوتوغرافية ، ولديهم قوى نفسية معينة .. لقد ناقش (بن) الأمر مع المحامي أولاً ، ثم اتجها لمقابلة الشاهد للعدل . وكما تقضى القواعد ، لم يناقضا معه ما يتوقعان أن يراه ..

لوصلتهم سيارة الأجرة إلى مركز (بيثيدا) ، حيث أخرج (بن) بطاقته للسكرتيرة . وقال إنه راغب في مقابلة المدير .. سألته إن كان عنده موعد ، فاعترف بأن لا . قالت :

- « إن أخشى أن فرصتك محدودة جداً .. ما هي مهنتك ؟ »

قال بصوت عال ليسمعه الجميع :

- « فقط قولي له إن (كاكستون) صاحب (عث الغراب) هنا ومعه شاهد عدل ومحام ، وهو هنا لاستجواب (فالنتين مايكل سميت) الرجل الآتي من المريخ .. »

أصابها الذهول للحظة ، ثم استعادت توازنها ، وطلبت منه في برود أن يجلس ..

في النهاية علقت ملكة الجليد الجالسة خلف المكتب وأعلنت :

- « مستر (بيركوست) صيقلبك .. »

كان يعرف أنه أحد الحمقى العاملين مع الأمين العام .. مهمته التخلص من الزوار ، لذا قال :

- « أريد الأمين العام نفسه .. فها هنا أمثل الصحافة ومفتي مليون قارئ .. لو لم يكن بوسعى مقابلته ، أرجو أن تعلقوا هذا بصوت عال ، وقولوا لى سلطتكم القانونية للرفض .. إن هناك إشاعات قوية تقول إن الرجل الذى ظهر فى التليفزيون المجسم أمس كان زائفاً .. »

هكذا اضطروا إلى أن يسمحوا له بالدخول مع رفيقه .. اجتازوا مجموعة من البوابات والحرس .. فى النهاية بلغوا غرفة معمة الإضاءة ، ونصحهم الطبيب المعالج (تاتر) بالابتعاد عن الأسنلة ، حتى لا يدخل الفتى حالة تشنج ..

- « هى ليست صرعاً .. يسهل على رجل الشارع أن يحسبها صرعاً ، لكنها شئ » يختلف .. »

- « هل هى توبات (الكاتاليسى) ؟ »

- « لا أعرف .. »

ودنا (كاكستون) من الفراش ، ليجد أن هناك رجلاً شاحباً يطفو هناك فى فراش مائى ، وقد غطس نصف جسمه فى الجلد البلاستيكى .. وقد نظر لهم ، لكنه لم يقل شيئاً .. وظل وجهه خالياً من التعبير ..

على قدر علم (بن) كان هذا الرجل ذاته الذى رآه فى التليفزيون المجسم أمس .. وقدّر أن (جيل) العزيزة بنولياها الحسنة قد ورطته فى تهمة تشويه سمعة ، قد تؤدى به إلى الإفلاس ...

- « هل أنت (فالنتين مايكل سميث) ؟ »

- « حتى الآن .. »

- « الرجل من المريخ ؟ »

- « حتى الآن .. »

- « وهل كنت فى التليفزيون المجسم أمس ؟ »

هنا تدخل الطبيب :

- « لا أحسبه يفهم معنى الكلمة .. »

ثم سأل (مايكل) :

- « (مايكل) .. هل تذكر ما فعلته مع الأمين للعلم أمس ؟ »

قال الوجه المريخي :

- « أضواء كثيرة .. تؤلم .. »

قال (كاستون) :

- « فهمت .. هل يعاملونك جيدًا هنا يا (مايكل) ؟ »

- « نعم .. »

- « هل يمكنك أن تمشي ؟ »

- « عضلات ضعيفة .. »

- « حسن .. سأعمل على أن يحضروا لك كرسيًا متحركًا ،
واسوف تخرج وتذهب إلى أي مكان تريد .. ألسنت رجلًا حرًا ؟ »

قال الطبيب في عصبية :

- « لا أسمح لك بالتدخل في أمر مريضى .. »

كان (كاستون) يفكر بعصق .. من الجلى أن (جيل)
كانت مخطئة .. لكن لا .. لم تكن مخطئة .. ثمة شيء
ما خطأ ، لكنه لا يستطيع تبينه ..

- « (مايكل) .. لمس وجهك لك الأمين للعلم بضعة أسئلة ..
مثلًا سألك عن رأيك في الفتيات على الأرض .. متى رأيت
فتيات على الأرض ؟ »

اختفت الابتسامة من على وجه المريض .. شخصت
عيناه لأعلى ، ثم اتخذ الوضع الجنينى ، وثنى ركبتيه إلى
صدره وحتى رأسه وثنى ذراعيه ..

صاح الطبيب وهو يتحسس معصم المريض :

- « فلنخرجوا من هنا ! »

قال (كاستون) :

- « نعم .. كنا خارجين على كل حال .. لكن لى سؤالاً
واحداً لك .. الفتى مسجون هنا ، فكيف ومتى رأى فتيات ؟ »

- « هل تمزح ؟ رأى ممرضات وفتيات .. »

- « لكن على قدر علمى لا يتعامل معه إلا ممرضون رجال ..
والفتيات ممنوعات منعاً باتاً من الدخول هنا .. »

- « لا تكن سخيًا .. أنت رأيت فتاة معه أمس على شاشة
التليفزيون المجسم .. »

هكذا صمت (كاستون) وسمح لهم بالقياده إلى الخارج ..

في الخارج قال له المحامى :

- « لا أعتقد أن الأمين لعل سيقاضيك مادمت لم تنشر شيئاً ..
لكن لا بد من دليل قوى إذا أردت أن تتعامل مع إشاعات .. »

قال (كاكستون) :

- « كيف لنا أن نعرف أن هذا هو (مايكل سميث) نفسه ؟ »

- « هه ؟ »

- « نحن رأينا رجلاً في فراش لا شيء إلا تأكيد الطبيب
وكلمته لا تساوى شيئاً .. إن مهنة هؤلاء القوم هي
الإنكار .. ثم إنني لا أحسبه طبيباً أصلاً ؛ فهو لم يبد فاهماً
لمصطلح (كاتاليسى) . هل رأيتم لو سمعتم أى شيء يؤيد
أن هذا هو رجل المريخ ؟ »

أعلن الشاهد العدل أنه يريد الانصراف ، مادامت مهمته
انتهت ، لكنه قال - (كاكستون) :

- « ثمة شيء كنت أتمنى لو لاحظته (الكالو هات) فى
قدميه . لى بحث عن هذا الموضوع فى (مجلة الشهود) ..
لو كان هذا الفتى مريخياً لوجدت حالة قدميه تدل على ذلك ،
مادام لم يلبس أحذيتنا قط ، والجاذبية هناك ثلث جاذبيتنا .. »

- « يا للشيطان ! لماذا لم تخبرنى بهذا ؟ يجب أن نعود
إلى المستشفى .. »

- « لأن هذا لا يتفق مع حياء الشهود .. ويوسفنى أننى

مادمت قد ذكرت لك هذا ، لم أعد صالحاً كشاهد عدل ..
يجب أن تجد غيرى .. »

قال المحامى وهو ينصرف مع الشاهد :

- « فكر فى أبسط الحلول .. أعتقد أن الرجل الذى رأيناه
هو فعلاً رجل المريخ .. »

راح (كاكستون) يفكر .. ليس الرجوع للمستشفى سهلاً ..
مرتين فى يوم واحد .. لن يستطيع اجتياز الحرس حتى لو تكرر
كعامل أو ممرض . ولكن ماذا عن طبيب ؟ د . (نلسون) .
طبيب السفينة .. هو الوحيد الذى يستطيع تمييز إن كان
هذا هو (مايكل سميث) أم لا ..

اتصل من التاكسى بدكتور (نلسون) ، لكن هذا الأخير لم
يعطه فرصة .. الرجل لم يكن راغباً فى مناقشة الموضوع
على الإطلاق ..

جرب الاتصال بعدة جهات ، وكان يزداد عصبية وعدوانية فى
كل مرة . كان هذا خطأ فاحشاً ؛ لأن سيرة التاكسى الأتوماتيكية
شعرت بذلك ، ويبدو أنها تلقت تعليمات من جهة عليا ؛ لأن
أبولها قطعت عليه .. ولقطع الاتصال بلية جهة .. ثم قطعت به
إلى جهة مجهولة .. أما هو فلم يعرف إلا أنه فقد الوعي ..

الذى يراقب بكل هذا الاهتمام حالة لا خطر منها . لقد نقلوا (مايكل) إلى هذه الحجرة الجانبية ؛ ليخفوه عن الفضوليين ، واستخدموا العجوز المريضة كستار .

وشعرت بالخطر .. وتذكرت كل ما قيل لها عن أهمية وخطورة هذه المعلومات . رأت فى خيالها صورة عربية المشرحة تغادر المستشفى ليلاً وفيها جثتان لاجئة واحدة ..

نظر لها بعينيه البريقتين وقال :

« أنت أختى .. أنا أعرفك .. »

أرغمت نفسها على الابتسام ، وقالت :

« أنت تحقق تقدماً .. أليس كذلك ؟ أنت تزداد قوة ..

لكن على أن أرحل الآن .. لقد توقفت لأقول مرحباً . »

هنا تغير تعبير وجهه إلى الذعر ، وصاح :

« لا ترحل ! »

« لكن على أن أرحل .. »

أضاف بثقة مأساوية :

« هل أدت شعورك ؟ لم أعرف هذا .. »

كانت (جيل) قلقة ، لأن (كاكستون) لم يتصل بها طيلة هذا الوقت ، وقد كان رجلاً لا تفوته التفاصيل الصغيرة . سألت عنه فى الجريدة ، فلم تجد من يعرف مكانه .. اتجهت إلى المستشفى وبدأت تمارس عملها .

كان أحد الأطباء يجلس أمام شاشة يراقب عليها مريضة مسنة مريضة ترقد فى فراشها ، وقد اندهشت (جيل) من كل هذا الاهتمام بحالة مستقرة أصلاً ..

غلبها الفضول الأثوى فقررت أن تلقى نظرة على العجوز .. لاحظت أن مفتاحها الذى يفتح كل الأقفال لا يفتح هذا القفل بالذات ، وهكذا حاولت حتى أقنعت الطبيب بترك المرقاب ، على أن تتولى هى المراقبة ، وحصلت على مفتاح الطبيب وتسللت إلى الحجرة .. لم يكن هناك ما يريب .. إلا أنها اكتشفت أن هناك حجرة جانبية .. قررت أن تلقى نظرة داخلها . فكانت المفاجأة أنها تحقق فى عينيها بريقتين تعرفهما جيداً إنه الرجل القادم من المريخ نفسه !

لقد صار كل شيء مفهوماً . اللقاء للتليفزيونى للملفق ، والمفتاح الذى لا يفتح هذه الحجرة بالذات ، والطبيب المقيم

- « لا .. لا .. لكن يجب أن أرحل . وبسرعة .. »

قال بلهجة تقريرية ، وبلا تعبير على وجهه :

- « خذنى معك يا أخى .. »

- « لا يمكننى .. من فضلك لا تخبر أحداً أنك قابلتني .. »

- « لا أخبر أحداً أن أخا الماء كان هنا ؟ حسن .. سيكون طيباً .. لن أخبر أحداً .. »

نظرت إلى الباب فأدركت أنه عولج بحيث لا يفتح القفل بمفتاح (الباس) .. إن كل أبواب المستشفيات خاصة في الحمامات تسمح للمريض بإغلاق الباب على نفسه ، لكنها تسمح كذلك بفتح الباب من الخارج بمفتاح (الباس) ، لو صار المريض في حالة لا تسمح له بالخروج ..

خرجت من الغرفة في الوقت المناسب ، حين أقدم الطبيب المقيم غرفة المريضة ، وصاح مفضياً :

- « أين كنت أيتها المريضة ؟ قلت لك أن تظلي أمام المرقاب ولا تتحركي .. »

- « لقد تحركت المريضة فدخلت كي أتفقدتها .. ليست هذه المريضة مسئوليتي ، لكنني تطوأت بهذا .. فلو كنت تلومني على العناية بها ، يمكننا أن نسأل المشرف العام .. »

- « هه ؟ لا .. اتسمى الموضوع .. فقط لا تتكلمي عن هذا .. »

قالت في سرها : لن أتكلم . يمكنك أن تراهن على أنني لن أتكلم .. ولكن ماذا أفعل بعد هذا ؟ ياليت (بن) موجود . هل هو يتناول الغداء ؟ لكن اليقين كان يتزايد في وجدانها : (بن) لن يترك البلدة من دون أن يخبرها بنتيجة مقابله للرجل من المريخ ..

هناك في حياة كل إنسان لحظة يكون عليه فيها أن يضع حياته ومكانه مقابل هدف غير مؤكد .. ومن يرفض هذا التحدي يكن مجرد طفل كبير لا أكثر .. وقد قابلت (جيل بوردمان) تحذيرها الخاص الساعة 3:47 مساءً وهي تقنع أحد الزوار بأنه لا يستطيع اصطحاب كلب لغرفة المريض ، حتى لو كان الأمن قد سمح له بهذا ..

كان الرجل المريخي جالساً بعد انصراف (جيل) .. كان سعيداً ، لأن (أخاه) وعده بأن يعود .. كان يوسعه أن ينتظر ولا يفعل شيئاً ، ربما لعدة أعوام لو اقتضى الأمر .. ما كان المريخيون ليفهموا عبارات مثل (الوقت متأخر أكثر مما تظن) : لأنها لا معنى لها بالنسبة لهم ، ولا عبارات من قبيل (العجلة تجلب الخطأ) : لأنها شيء مفهوم ، كأنك تشرح للسمكة كيف تسبح ..

لما افتتح الباب ثانية ودخلت (جيل) أصابته الدهشة ، لأنه لم يتوقع أن الباب هو باب .. لكنه فهم هذا سريعاً .. وترك نفسه لمشاعر الراحة التي يحسها كلما قابل أخوة الماء أو - في ظروف خاصة - الكبار . ناولته (جيل) لفافة ، وقالت له :

« البس هذه ! بمسرة ! »

فلما وجدته ينظر لها بلا فهم ، اضطرت لأن تساعد .. كان عليها أن تنزع ثيابه وتضع تلك الثياب عليه .. كان يلبس جلاب مستشفى وخفين . كان يوسعه أن ينزع هذه الثياب الآن ، لكن ليس بالسرعة التي تريدها (جيل) .. وقد راق له الجلد المزيف الذي شدته (جيل) حول رجليه ، لكنها لم تترك له فرصة الإعجاب . لقد ألبسته ثياب الممرضة بسرعة . لم تكن هذه الثياب تخصها ، بل تخص ممرضة أكبر حجماً . لم يكن الحذاءان بهذه السهولة ، لأنهما ضيقان كما أنه ظل يجد الوقوف عسيراً في هذه الجانبية .. ثم ألبسته (الكاب) ، وقالت إن شعره قصير ، لكن من الممكن قبول هذا الطول .. ولم يفهم ما تريد ، وقرّر أن يطيل شعره الآن . لكن وجد أن الوقت غير كاف لهذا ..

« والآن لنمض .. سيكون على الكلام ، فلا تتكلم أنت أبداً .. فقط لو كنت تعرف أية صلوات فلتتلها ! »

« صلوات ؟ »

« لا عليك .. فقط تعال ولا تتكلم .. »

واقفاته من يده عبر الردهة .. فلم يبد أن أحداً يلاحظ .. وغرق (مايكل سميث) في رؤى لم يستطع أن يركز عليها أو يفهمها .. مشى وراءها وكاد يتعثّر لو لم تمسك به .. أخذته إلى المصعد فالسطح .. كانت تبحث في يأس عن تاكسي طائر ، بينما هو ينظر في استمتاع ولهفة إلى السماء التي لم يرها منذ غادر المريخ .. سماء (واشنطن) الزرقاء الصافية على غير العادة . المشكلة هي أن موعد انصراف الممرضات فات منذ ربع ساعة ، وبالتالي لم تعد هناك سيارات تاكسي .. هما قطوع مراقب السطح - وقد عرفها - بأن يمنحها سيارة تاكسي استدعاها للدكتور (فيمس) ..

قالت له في لهفة :

« شكراً لك .. فلنا في ورطة .. هذه ابنة عمي (مادج) ، وقد أصيبت بالتهاب في الحنجرة . يجب أن أخذها للبيت حالاً .. »

أوقف سيارة التاكسي ، وضغط على الأزرار طالباً شفرة بيت (جيل) التي يعرفها ، ثم تنحى ليسمح لهما بالركوب ..

جلس (سميث) في التاكسي، ولولا أن يوجه له (أخ الماء) رسالة شكر، لكنه استبعد أكثر الإجابات؛ لأنه لا يعرف كيف يترجمها، وفي النهاية رافت له عبارة لا بأس بها:

« فليتم ببضنا في عش واحد »

ولاحظ في خيبة أمل أنها لم تفهم. أكثر من مرة أثار ارتباك أو خوف الناس، بينما كان هدفه هو أن يبعث فيهم شعور الاندماج.. جرّب من جديد:

« عشك عشى وعشى عشك »

ابتسمت (جيل) هذه المرة، وقالت:

« عزيزي. لست واثقة من أنني أفهمك جيدًا، لكن هذا أرق عرض تلقّيته منذ زمن.. ولكن فلتنتظر قليلاً، لأننا غارقان حتى الأذان في المتاعب »

لم يفهم كل ما قالته سوى أمر الانتظار، وهو شيء يفهمه بديهياً. لذا استرخى وراح يستمتع بمشاهدة العالم من الجو، وهو شيء لم يتح له من قبل. أدركت هنا أن التاكسي يقترب من شقتها. لم تكن تعرف شيئاً عن أساليب البوليس، لكنها عرفت يقيناً أن هذا هو آخر مكان يناسبها

أن تكون فيه. سوف يجد البوليس بصمتها، وسوف يجدون من يشهد على أنها كانت هناك، ولربما كان بوسعهم تفريغ رحلة التاكسي؛ لمعرفة أين ذهبت بالضبط؛ لهذا ضغطت على الأزرار لتحوّل وجهتها السابقة.. لم تعرف إن كان هذا يمسح شريط ذاكرة التاكسي، لكنها لن تجازف.

أصدرت أوامرها للتاكسي كي يتجه إلى شقة (بن).. كانت تعرف الشفرة الخاصة بفتح الباب، لكنه لدهشتها لم يستجب.. لقد غيّر (بن) الشفرة ولم يخبرها بها! هكذا قررت أن تنادي مباشرة لعله يكون بالداخل:

« (بن) .. هذه أنا (جيل) ! »

لدهشتها انفتح الباب.. وأدركت في سرور أن هذه هي الشفرة الجديدة!

دخل (سميث) ورائها، وقد بدا أن هناك أشياء كثيرة جداً في شقة (بن) لا يستطيع استيعابها فوراً. وكانت النافذة أول ما لفت نظره، لكنه لم يعرف أنها نافذة، بل افترض أنها واحدة من الصور للحية التي كان يراها في وطنه.. لابد أن فناناً عظيماً بين هؤلاء القوم هو الذي رسم هذه الصورة المتحركة على الأرض كان هناك عشب صناعي جميل يستعمله (بن) كديكور.

- « لماذا أنت مهموم يا أخى ؟ »

نظرت له فى دهشة . الرضيع اليأس لا يدرك مجرد وجود شيء خطأ .. لا يعرف أى شيء .. هى لا تعرف بالضبط كم قاتونا خرقته ، لكنها تعرف أنها اصطدمت بإرادة القوم الكبار الرؤساء .. الذين يأخذون القرارات .

حاول أن ينزع ثيابه فلم يستطع ، وتورط فى الثياب كقطعة صغيرة فى بكرة خيط .. هكذا اضطرت لأن تصاعده .. كانت ممرضة ، وقد اعتلت رائحة القذارة ، لكنها - كمرضة - كانت تعشق الماء والصابون .. وكان من الواضح أنه بحاجة للحمام ، قبل أن تعطيه بعض ثياب (بن) .. ملأت له المغطس واختبرت حرارة الماء ، ثم طلبت منه أن ينزل .. هذا ماء . أخوه يطلب منه طقوس الماء .. ما من أحد فى العالم نال هذا الشرف العظيم .. وبرغم أنه لم يعتد الماء ، فبأنه كان يعرف الحقيقة : أخوه لا يخطئ أبداً ..

خاص فى المغطس .. هنا أثار رعبها أنه غاب كلية تحت الماء .. مدت يدها ترفع رأسه فوجدت أنه ساكن كالجثة .. لا هو لم يفرق .. لا أحد يفرق بهذه السرعة .. هنا فتح عينيه .

- « هل أنت بخير ؟ »

- « بخير يا أخى .. »

ثم مد يده للمكورة وتناول جرعة من الماء وشربها ، ثم مد يده لها .. صاحبت فى دهشة :

- « هيه ! لا تشرب ماء مستحمك ! لما لن تشربه أفضاً ! »

أصابتها حيرته بالجزع ، مما جعلها تلمس شفتيها بالماء .. ثم قالت له فى عصبية :

- « هل أنت راض ؟ لو أردت كوب ماء سأجلبه لك ، لكن لا تضع وقتاً أكثر .. »

فرغ من حمامه ، فأحضرت له الثياب الجافة .. وبينما هو يستعد لارتدائها ، دوى الصوت من الخارج :

- « لفتح الباب ! »

أصابها الهلع .. هلع لم تشعر به منذ توقف قلب المريضة أثناء تلك الجراحة . هل بهذه السرعة ؟ إذن هم يعرفون أن أحداً هنا .. لكن هل هم متأكدون من وجودها ؟ لا بد أن التاكسى اللعين قد وشى بها ..

اتجهت إلى الصلاة وهتفت :

« من ؟ »

« افتحى باسم القانون ! »

« أى قانون ؟ هلا رحلت قبل أن أبلغ الشرطة ؟ »

« نحن الشرطة .. هل أنت (جيل بوردمان) ؟ »

وقبل أن تجيب رأيت دائرة من الحمرة حول قفل الباب ..
ثم تحول الأحمر إلى الأبيض .. وانفتح الباب لتجد أمامها
رجلين .. تراجمت للوراء وصاحت :

« أين أمر التفتيش ؟؟ أريد أن أرى لوراكما ، وإلا أبلغت
الشرطة بهذا الاعتداء .. »

أزاحها أحدهما جانباً ، وكان يفوقها ضخامة مرتين :

« نحن لا نريدك يا صغيرة .. نحن نريده هو .. لاتضايقينا
وفى هذه الحالة لربما تصرفنا معك برفق .. »

ودخل أحدهما إلى الحمام ، ثم جاء صوته :

« إنه هنا .. »

ثم خرج وهو يقاتل (سميث) ونراعه خلف ظهره ، وحاولت

(جيل) أن تعترض ، فصفعها الرجل الأول الذى كان يدعى
(جونسون) . كان هذا خطأ قاتلاً منه أن يصفعها أمام
(سميث) .. حتى هذه اللحظة كان (سميث) وديعاً مسالماً
يقاوم فى وهن ، كأنه كلب يحاول التملص من صاحبه الذى
يرغمه على المشى فوق العشب لكنه وقد رأى أخا الماء
يصفع ، تملص وحرر نفسه ، ثم مد يده إلى (جونسون) .

فجأة لم يعد (جونسون) هناك .. لم يعد فى أى مكان ..
لم تعد الغرفة تحتويه .. فقط بقايا العشب حيث كانت قدماء
الكبيرتان .. ونظرت (جيل) إلى الفضاء الذى كان فيه ،
وشعرت بأنها موشكة على فقدان الوعي .

فتح الرجل الثانى فمه ثم أغلقه . وسأل بخشونة وهو
ينظر إلى (جيل) لا إلى (سميث) :

« ماذا فعلت به ؟ ما هى هذه الحيلة ؟ هل هو باب
مصيصة أم ماذا ؟ »

« لا أعرف .. »

أخرج مسدساً من جيبه وصوبه نحوها :

« لا تحاولى حيلة كهذه معى .. لبقى هنا بينما أخذه معى .. »

راى (سميث) الرعب على وجه (جيل) .. وكان قد راى السلاح الناري من قبل .. هذه هى لحظة التحرك .. لحظة أن يجد التأمل فعلاً لازماً من أجل النمو .. لقد علمه الكبار القدامى جيداً .. مد يده نحو الرجل ، وفى اللحظة التالية لم يعد هذا الأخير هناك ..

ثم استدار (سميث) إلى أخيه .. كانت تغطى وجهها وتصرخ .. شعر بأنه أخطأ ، ومن ثم انزلق ببطء إلى الأرض التى يغطيها العشب ، وتكور على نفسه فى شكل جنين ..

نسيت (جيل) كل شيء فيما عدا أن هناك مريضاً فى خطر . ركعت جواره وتحسست نبضه فلم تشعر به .. لم تشعر بوجود تنفس . ألصقت أذنهما بصدرة ، فخيك إليها لئلا تسمع (لاب داب) المميزة لخفق القلب .. لكن بضربة كسول تليها ضربة أخرى بعد خمس ثوان . ذكرها هذا بتفاعلات (الانسحاب الانطوائى) .. لكنها لم تر سنة بهذا العمق قط حتى فى محاضرات التخدير بالتبويم المقطاطيسى .. سمعت عن بعض فقراء الهنود الذين يستطيعون الدخول فى حالة كهذه .

حاولت أن توقظه بكل شكل ممكن .. حتى العصب الحساس فى كوعه لم يستجب ..

هكذا دخلت غرفة النوم ، وانتقت حقيبة كبيرة كانت تخص (بن) .. لاحظت أن الحقيبة بها مناماة ومنشفة وأشياء أخرى توحى بأنها الحقيبة التى يعدها الصحفي لسفر فوري خارج المدينة .. يدل هذا على أن (بن) لم يسافر .. بكثير من الجهد نجحت فى أن تدس جسد (سميث) النحيل الخفيف داخل الحقيبة ، ثم راحت تدفعها دفعا على العجلات نحو الباب ..

كان أحد الجيران يقف هناك وراى الحقيبة العملاقة فسألها :

- « هيه يا أختاه .. ماذا فى هذه الحقيبة ؟ »

- « جثة .. »

قال مضطرباً :

- « نعم .. بالفعل .. إن من يسأل سؤالا سخيفا ينل إجابة سخيفة .. »

الجزء الثانى

عن إرثه المخالف للطبيعة



كان الكوكب الثالث من (سول)^(*) فى حلقته المعتادة ، كان عليه اليوم 230,000 ألف شخص أكثر من البارحة ، وبين خمسة تريليونات لرضى كانت هذه الزيادة طفيفة لا تلاحظ .

تساول جناب عظمته (جوزف إ. دوجلاس) أمين عام الاتحاد العالمى للولايات الحرة (#) إفطاره المكون من (الأومليت) ، وتساعل فى تعلية : لماذا لا يحق للمرء الحصول على قدح قهوة محترم هذه الأيام ؟ أمامه كانت صحف الصباح التى أعدها الوبتجيون ليلاً . وكان لديه ماسح ضوئى سريع .. تتدفق عليه الكلمات كلما نظر بهذا الاتجاه . لكنه الآن لم يكن يقرأ ، بل يتحاشى عينى رئيسه عبر المائدة .

سألته زوجته التى لم تكن تقرأ ، لكن لديها طرقها لمعرفة المعلومات :

(*) يتحدث عن كوكب الأرض طبعاً ..

(#) أى أنه حاكم العالم

- « (جوزيف) .. ثمة شىء يقلقك .. ولنا لم أرقبك وأهددك وأغسل جواربك لمدة خمس وثلاثين سنة بلا مقابل .. أعرف حين يكون هناك شىء فى ذهنك .. »

نظر لها فى حيرة ، وتساعل : كيف قلته إلى توقيع هذا العقد غير القابل للفسخ معها منذ كنت سكرتيرة ؟ القصة أنه كان بحاجة لضغط نفقات الإقامة فى ذلك الفندق ، لذا تزوجها كى يقيمها فى غرفة واحدة بدلاً من غرفتين .. طبعاً قصتها كانت تختلف كثيراً ، وهو لم يكن يملك الشجاعة كى يعارض الرواية الرسمية عن لقائهما .

- « لم أتم جيداً أمس يا حبيبتى .. ولكن لماذا تقولين هذا ؟ »

- « حدس الأنثى . ترى ماذا جلبه لك (برادلى) ؟ »

- « لقد فقدنا ذلك المتسول (سميث) . »

- « للرجل من المريخ ؟ هذا غريب ! كيف فقدتموه ؟ »

- « تتكرر كامرأة ! والمشكلة هى أننا لا نستطيع أن نعلن رسمياً أننا فقدناه .. »

- « يجب أن تجدوه .. قبل أن يحده منافسوك السياسيون

في (الائتلاف الشرقي) .. لو احتجتم إلى قتله فاقبلوه ! تنكر أنه ليس مواطناً على الإطلاق .. ولكن .. لن أضيع الصباح كله أناقش البديهيّات معك .. أنته من إفطارك ، وامسح هذا البيض عن ثفتيك .. »

تصرّفت وجلس هو وحده يفكر .. لم يكن يسمح لأحد بليذاء ذلك الشاب من المريح . نعم هو مزعج ، لكنه شاب وبيع لطيف ، ولو رآته (أجنس) - الزوجة - لحرك فيها روح الأمومة .. لكن هل هي لديها ؟ ثباً ! كل النساء لديهن غريزة الأمومة . العلم يرهن على هذا .. كانت زوجته تعيش في قلب (ليفيتا بيرون) .. تتظاهر بأنها صنعت ذلك الرجل الذي شرفته بأن تسميه (زوجها) .. وكانت تؤمن أن على الرجال أن يحموا العالم .. وعلى النساء أن يحكمن الرجال ..

بينما كانت مسر (دوجلاس) تتكلم بحرية في أمور لا تعرف عنها إلا القليل ، كان (جوبل هارشو)^(١٩) . دكتوراه في العلوم ودكتوراه في الطب ، وذو أمة مترفاً ومؤلفاً خارقاً للعادة . وكذلك هو فليسوف تشاؤمي محدث neopessimist

(*) أغلب الاسماء هنا لها دلالة رمزية تفتح مجالاً للجدل (جوبل)

.. معانها (أبو الجمع) ..

يتمدد في حمام السباحة في بيته في (بوكونوس) ، يحك الشعر الرمادي الكث على صدره ، جواره في حمام السباحة كانت سكرتيراته الثلاث اللاتي يجمعن بين الكفاءة والجمال ، وجواره كان ميكروفون صغير يتصل بجهاز الإملاء في مكتبه .. كانت هذه طريقته لإعطاء مذكرات ، لكنه في العادة كان يفضل الاستعانة بكاتبة اختزال .

صاح ينادي :

- « أول الصف ! »

قللت للفتاه (آن) :

- « ليس هذا دوري ، لكنني سأؤلى الأمر .. »

كن يتكلمن معه بحرية وربما بوقاحة . كل الخدم في البيت كانوا كذلك ..

وسرعان ما خرجت من حمام السباحة ، وجففت يديها في منشفة هناك ، ثم راحت تصفي له . لم تكن محتاجة إلى الكتابة ، لأن ذاكرتها فوتوغرافية .. قال لها :

- « لدى قصة ممتازة خطرت لي .. عن قطة تتسلل إلى دار عبادة بحثاً عن الدفء .. إنها تشعر بالبرد والجوع .. بالإضافة إلى أن لها مخلباً مهشماً .. »

- « ما اسم الكاتب الذي استخدمه ؟ »

- « م م م ! فلنستعمل (مولى وانزورث) ثانية .. ولننطلق
على القصة (المعطف الآخر) .. وتبدأ القصة كما يلي .. »

وبدا يحكي وهو يرقب باهتمام ورضا الدموع التي بدأت
تساب من عينيها ..

كان على وشك البدء في القصة الأخرى مع السكرتيرة
(ميريام) ، حين جاء صوت مكبر الصوت يقول :

- « ثمة امرأة على الباب الخارجى تريد أن تراك .. ومعها
جثة »

فكر قليلاً في الأمر ، ثم قال :

- « جميلة ؟ »

- « نعم .. »

- « إذن لماذا تضيع الوقت ؟ لم لا ترسلها لي ؟ »

كانت هناك سيارة صغيرة تقترب .. وداخل السيارة كانت
(جيل) ، وجوارها شاب يقود للسيارة ..

قال (جوبال) :

- « ولكن أين الجثة ؟ »

قالت (جيل) :

- « لا جثة .. لقد سمعت من (بن) أنك .. »

ثم غطت وجهها بيدها ، وبدأت تبكي ..

هدأها وأمر سكرتيراته أن يغنين بها ، ثم اتجه إلى
السيارة .. كانت هناك بطانية على المقعد الخلفى رفعها وقال :

- « هناك جثة فعلاً .. حرارة هذا العنق أقل من حرارة
الجو .. التصلب غير معتاد .. »

- « ليس ميتاً .. فقط ساعدنى على إخراجه من هذا المقعد .. »

أخرج السماعة ووضعها على صدر الفتى ، وراح يصغى :

- « أخشى أنك مخطئة .. إنه ميت فعلاً .. يالى من قرد
(بابون) غبى ! إنه حى .. هاتوا لي حقنة من الدواء فى
غرفتى .. الدرج الأيسر .. »

قالت (جيل) فى رعب :

- « لا .. لا .. لا منشطات للقلب ياسيدى .. اسفة فأنا ممرضة
فقط ، لكن أعرف الحالة جيداً .. »

- « م م م .. منذ أربعين سنة عرفت أننى لست إلها .. ومنذ
عشر سنوات عرفت أننى لست (أبقرط) كذلك .. ماذا تريد
أن تفعل ؟ »

جلست جوار الفتى ، وراحت تنلكه برفق .. وراحت تهمس :

- « هلم . أفق .. أنا (جيل) أخوك المائى .. »

لدهشة الطبيب بدأ الجسد يتحرك .. تحرك الصدر .. ثم أطلق تنهيدة عظيمة وفتح عينيه .. نظر لـ (جيل) وابتمسم ابتسامته الطفولية . وهكذا بعد قليل تمكن (جوبال) من أن يضع المريضين فى الفراش .. فقط أخبرته (جيل) بأنها قادمة من طرف (بن كاكستون) ، وأنه قال لها إن بوسعها الثقة بـ (جوبال) .. (بن) مختلف الآن ، وكل شيء يؤكد أن دهاً يطاردها .. ثم راحت فى النعاس المريح ، فابتسم الطبيب .. مازالت هناك أمور مثيرة شائقة فى هذه الحياة ، بدلاً من الملل الرمادى الذى يكسو كل شيء ..

هتف الشاب الذى جاء مع (جيل) :

- « هل هذا فعلاً هو الفتى من المريخ ؟ »

- « فلتدع الله ألا يكون هو .. لأنه لو كان هو وعرفوا علاقتنا بالموضوع ، فلسوف يستجوبوننا بمشعل نار .. »

بعد نوم هادئ مريح ، صحت (جيل) من نومها ، فالتفت إليها نظيفة تلبس ثياباً جديدة ، واضح أنها تخص تلك الفتاة

التي كان الطبيب يناديها (ميريام) وكانت السكرتيرة الأخرى (دوركاس) متكورة على مقعد تنسج (التريكو) رأت (جيل) فابتسمت لها . جاء الطبيب باسم يدعوها إلى المشاء ، وسألها عما إذا كان الفتى ياكل ، فقالت فى حيرة إنها لا تعرف ..

- « لا عليك . منرى إن كان يريد أن يأكل أم لا او نرسل له صينية إلى غرفته . كل شخص فى بيتى حر يفعل ما يريد . إلى أن أفقد صبرى فأدفع به فى الشارع ولكون شكراً لو أطلقت على (جوبال) فقط بلال لب (كتور) .. بالمناسبة .. ماذا يهمك من أمر هذا الفتى ؟ هل تحببه ؟ إنه فتى وأنت فتاة ، وهذا ترتيب جميل كما ترى »

نظرت له فى دهشة ، وقالت :

- « لا .. فقط بدالـ (بن) أن الفتى سجين ، وأن حياته فى خطر لذا قررت أن أتقذه . قال (بن) مرة إنك الشخص الذى يستطيع استعادة حقوقه .. »

- « هم م م . لا أستريح للاهتمام من غير سبب تبدين لى فتاة طبيعية تعمل غدها جيداً لا بد أن الموضوع يتعلق بالفتى أو (بن) . لا بد للمرء من أن يتفهم دوافعه جيداً .. وهكذا يتخذ قراراً صائباً .. »

فكرت قليلاً ، ولم تدر ما تقول .. فقال لها :

- « بالنسبة لما يعتقد (بن) فهو مخطئ .. أنا لابلئ لحظة بالدفاع عن حقوق هذا الفتى .. لا أعتقد أن له حقاً فى المريح ، وأعتقد أن هكذا كله هراء محالين ، ولو كان الفتى سعيد الحظ لا تزعوا منه هذه الحقوق .. لن أدافع عن حقوقه .. »

- « أسفة .. إذن يجب أن أرحل .. »

- « أنت لمست فهمى . بالنسبة للدفاع عن حقوق فتى من المريح ، فالأمر لا يعنينى فى ثرة .. لكن بالنسبة لمريض وضيف فى بيتى ، فالأمر يختلف .. يمكنه أن يبقى هنا لىة فترة يريد .. »

كان (جوبال) من الطراز الذى يؤمن بأن معظم البشر صالحون للقيص عديم الأكمال ، والصناعات الكهربائية ، وحملات الماء للبارد . وقد تعلم أن يصل إلى (لترفلتا) من زمن بعيد .. غاص فى سرته فتلاشى من الوجود كله أحد فقراء الهنود .

فلما اختلى بنفسه بعد العشاء نادى سكرتيرته (دوركاس) وقال لها :

- « تعرفين أننى كنت طفلياً عديم النفع والقيمة طيلة الخمسة والثلاثين عاماً الأخيرة .. »

- « هذا شيء يعرفه الجميع .. »

- « هاتى دلوا من الماء للبارد وألقى به فوق (دوك) ، واطلبى منه يحضر لى جهاز تليفزيون مجسم .. يجب أن أتابع الأخبار لولاً فلولاً . إتنى أفكر جدياً فى استبدال كلب بكل للعاملين فى هذا البيت .. ثم أطلق الرصاص على الكلب .. لو لم يستطع (دوك) تدبير جهاز تليفزيون ، فليحدد اتجاهها بفانر به منزلى .. ويبدأ للمشى فيه »

ثم تذكر شيئاً فقال لها :

- « القصة الأخيرة .. اختارى للكاتبه اسماً ينتهى بحرف « .. مثل (أنجيلا) . هذا يوحى للقارئ بأن جسم صاحبه الاسم جميل .. الفتيات اللاتى ينتهى اسمهن بحرف « يشرن الخيال .. »

قالت له فى غيظ :

- « تقول هذا بينما لا توجد واحدة منا ينتهى اسمها بحرف « .. يالك من قملة ! »

كان فى هذه الليلة شعر برغبة فى الفوضوية التى هى علامة الميلاد لآى أمريكى .. أن يضرب رأسه فى النظم ويتحداه .. بعث فيه هذا نشوة لم يشعر بها من قبل طيلة حياته ..

على كوكب المريخ لم تكن الحياة خالية من العمل ، كان على السكان أن يعملوا بكوكبهم . هناك نباتات يجب أن تعرف متى وأين تنمو ، الحوريات يجب أن يجمعن ويخصبن ، ويجب أن يجمع البيض الناتج ، ويتم التفكير فيه والتعبده ، حتى ينضج . كانت كل الحوريات إناثا ، لما قبلن فكاتوا ذكورا ، هذه أشياء مهمة لكنها لا تختلف عن أخذك الكلب لتتراه مرتين يوميا ، ليست هذه حياتك لكن نوراها واحد من المريخ لحسبها كذلك ، ولحسب أنك تعمل عبدا للكلب .

كن كل من البشر والمريحيين شكلين للحياة الواعية ، لكنهما سلكا سبيلين كاملي الاختلاف ، إن قطبية (رجل - امرأة) التي تحكم حياة البشر ، لا يمكن أن توجد على المريخ ولم يكن الرواج محتملا ، كان الكبار ضخام الأجساد يذكرون الارصيين بسفن تحت أشعة عملاقة . وكانوا قليلي الحركة . نكهم كانوا نشيطي التفكير ، الحوريات كن كرات سمينة مغطاة بالفراء .. ولم يكن شيء يحدث تقريبا ، فلو كان لدى المريحيين صحف ، لكانت طبعان في كل قرن أرضي كاهيتين جدا ، إلا أنه مؤخرا حدث شينان مهمان ، لم يكن المريخيون

يرون شيئا جديدا في لقاء الأجناس الأخرى ، فقد حدث هذا من قبل ولنسوف يحدث ثانية ، عندما يتم استيعاب الجنس الآخر (حوالي ألف سنة أرضية) يمكن وقتها اتخاذ قرار مناسب

ما حدث هذه المرة هو أن القدماء الكبار قرروا أن يرسلوا (الرجل) ليفهم كنه الكوكب الثالث ، ثم وجهوا اقتباههم إلى أشياء أكثر أهمية مثل الفنون ، وكانت فنون هؤلاء نوعا من العواطف والانفعالات المحتشدة معا ، سمها شعرا أو موسيقا لا يهم ، كان فن المريحيين ينقسم إلى جزأين : فن البالغين الأحياء وكان أقرب إلى التطرف والبدائية ، وفن القدماء الكبار الذي كان محافظا ومعقدا ، وكانت هناك خبرات معينة صارت لها أهمية شبه دينية عندهم بعد كل هذه القرون ، مثلاً ذكرى معرفتهم لسكان الكوكب الخامس ، وكيف دمروهم ثم عبدوهم بعد هذا ، فلم يبق لهم من أثر إلا بعض الكويكبات ، كان هناك عمل فني يمثل هذه الذكرى ، لكن الفنان الذي صنعه (تحلل) . اتهمك بعمله فنسي نفسه في البرد طويلاً ، و(تحلل) حتى إنه صار من المستحيل التهام جثته .

وعلى الكوكب الثالث كان (فالنتين مايكل سميث) لا يشغل ذهنه بهذه الأمور ، لكنه يعرفها كما يعرف أي تلميذ عندما

قصة تدمير (طروادة Troy) وهبوط الحجاج على صخرة (بلايماوث Plymouth)، كان قد تلقى تعليمًا خارقًا يفوق كل رفاقه.. فقد أراد القدماء الكبار معرفة الكم الذي يمكن أن يتعلمه هذا الغريب، لقد وجد أخا ماء عظيمًا في (جوبال)، الذي أخبره أن بوسعه معرفة الكثير عن هذا العالم لو تعلم القراءة، لذا كرس يومًا كاملًا لتعلم القراءة بمساعدة (جيل)، لقد اضطره هذا لترك السباحة في حمام السباحة، وهي متعة لا توصف بالإضافة إلى ما تمنحه من نشوة دينية، كان ذا قدرة خارقة على البقاء تحت مياه حوض المغطس لفترات لا يمكن تصديقها، وكان يقضي الليل في تصفح الموسوعة البريطانية بسرعة لا تصدق، بالنسبة له لم يكن هناك ما يدعى (خيال).. كل شيء في الكتب حقيقي.. ولم يستطع قط تصور أن (روميو وجوليت) لا وجود لهما.. بل كان يتصور أن مسرحيات (شكسبير) هي كتب تاريخ لا أكثر، وكان (جوبال) يراقبه في فضول.. لكنه لم يفكر قط في (قياسه) بأن يجري عليه دراسة بالأرقام والمنحنيات.. كان (جوبال) يملك تواضع العلماء، وقد وجد أنه من السخف أن تقيس شيئًا وأنت لا تعرف أي شيء عن هذا الذي تقيسه.

لماذا لم يلت رجل الحكومة هنا؟ هل هم أغبياء إلى حد عدم قدرتهم على القضاء لثر فتاة تجر رجلًا فاقد الوعي؟ وخطر له أنهم ربما يراقبون بيته الآن! وقد ضايقته هذه الفكرة! الحكومة ثلاثة أرباعها تطفل وربعها غباء.. لكن الإنسان لا يستطيع الاستغناء عن الحكومة إلا لو استطاع الاستغناء عن مصرقه اللطيف، ثم أين ذهب ذلك الأحمق (كاكستون)؟

كانت الفتاة تفكر في البحث عنه، لكنه ألقها بغباء للفكرة.. كيف تستعين بمخبر خاص وهي لا تملك مالاً؟

كان (جوبال) قد بدأ يحب الفتاة، خاصة مع مفهومه المتسامح البسيط عن (فقدان الاتحاد discorporation) - كما يسمى الموت - فلو أخبرته أنك ستطهوه للعشاء لشرك في حرارة على هذا الشرف، وهذا يختلف عن مفهوم (غريزة الموت) الفرويدي وعن كون الحياة لا تطاق، بل هو أقرب لتعبير (ستيفنسون): «سعيدًا عشت وسعيدًا أموت.. وأسلم نفسي حاملًا وصيتي». يبدو أن (مايكل) يعرف فعلاً ما يتكلم عنه.

فقط كان يثير غيظه محاولة (جيل) تعليم الفتى الإتيكيت وقواعد السلوك.. وكان يقول لها:

- « لماذا تصرين على إفساد هذا الفتى ؟ لماذا تعلمينه قيم الطبقة المتوسطة الكنيية ؟ هذا الفتى جاء من ثقافة مختلفة ، وأنت تحاولين تحويله إلى نسخة كربون من كل واحد آخر من الذين يوافقون على كل شيء على هذا الكوكب البائس . لماذا لا تعلميه أيضا كيف يحمل حقيبة أوراق ، ويشعر بالخجل لو لم يحملها ؟ »

قالت له (جيل) في خجل :

- « أنا مدينة لك ، ولكن .. »

- « لا . أنت لست مدينة لي .. ولا تحاولي أن تكوني ورقة مثلي ؛ لأن هذا يحتاج إلى سنوات من الممران .. لو بدأت تشعرين بأنك مدينة لي لانتقلت إلى الشعور بالامتنان .. وهذه هي الخطوة الأولى نحو الانهيار الأخلاقي الكامل ' علمي الفتى بعض السلوكيات ، لكن احرصي على أن يحتفظ بطابع السخرية منها .. »

- « حسن .. لا أعتقد أنه يملك نرة من روح السخرية .. »

جاء (فالتين) من غرفته ، وهو يعلى الأمرين من ارتداء ثيابه ، وقد أخفق عدة مرات في ربط الحذاء ، فسأله (جوبال) عما تعلمه اليوم ..

- « تعلمت القفز في الماء . (دوركاس) يفهم الماء .. الماء يعشقه .. »

- « (هي) .. (دوركاس) هي وليست (هو) »

تسائل (فالتين مايكل) في حيرة :

- « (هي) .. إذن ما قرأته خطأ .. لقد جاء في قاموس (ويستر) الطبعة الثالثة المطبوعة في (سبرنجفيلد ماساتشوستس) أن الجنس الذكري يتضمن الجنس الأنثوي في استعمال الضمائر .. وفي قانون تعاقب (هاجوورث) الطبعة الخامسة .. شيكاغو .. إلينوى .. 1978 في صفحة 1012 يقول . »

صاح (جوبال) :

- « كفى .. المشكلة في اللغة الإنجليزية لافيك . يمكن أن يتضمن الجنس الذكري الجنس الأنثوي لو تحدثت عن مجموعة ، لكن ليس حين تتكلم عن شخص بعينه . (دوركاس) هي لا هو .. وماذا تعلمت أيضا ؟ »

- « تعلمت طريقتين لربط حذائي .. »

- « حسن .. والآن أريد منك شيئاً .. فألم أطلبك من غرفتك لتبذل هذه الكلمات .. »

كان يريد أن يعرف منه شيئاً سمعه من (جبل) ولم يصدق..
بمعنى أدق كان يصدقها، لكنه لم يصدق الواقعة.. إن للناس
تحلم من حين لآخر.. لقد قالت إن الرجلين اختفيا في شقة
(بن) في أثناء تلك المواجهة مع (مايكل) .. فكيف حدث هذا؟

كان الأمر صعباً كالعادة.. لأن (مايكل) لم يكن يفهم
معنى (الرجلان اللذان هاجماه بعد فراره من المستشفى)،
فهو لم يكن يعرف أنه كان في المستشفى.. وكان الجدل
معه عسيراً، لأنه يهدد في أية لحظة بأن ينتش على نفسه
ويأخذ الوضع الجنيني.. وفي النهاية فهم المطلوب فقال:

«الرجل كان يهاجم أخا الماء.. ماقت به كان سهلاً
جداً.. أسهل بكثير من عقد رباط الحذاء..»

«هل يمكنك أن تكرر ماقت به مع هذا الشيء؟»

وأشار إلى صندوق يحوى زجاجة (برادى) شبه فارغة،
فتساعل (مايكل):

«لا أعرف يا (جوبال) .. لا بد لي أولاً من أن أقتنع أن
هذا الشيء ليس صحيحاً.. وأنه ما كان يجب أن يوجد..»

«بالفعل هو كذلك.. ليس صحيحاً.. والآن أريني كيف
تخفيه؟»

حملت (جبل) الصندوق ورفعته بحركة تمثيلية في الهواء،
وقالت لـ (مايكل):

«انظر! أنا ساحطم به رأس (جوبال) .. سوف أؤذى
(جوبال) لو لم تتدخل أنت..»

وهوت بالصندوق على رأس (جوبال) .. وفي اللحظة
التالية صرخ (جوبال):

«تبا! لقد اختفى! لم أثبت عني عليه! هل رأيت
ما جرى يا (آن)؟»

قالت (آن) السكرتيرة التي كانت قبل هذا تمارس عملها
كشاهدة عدل:

«لم يختف على الفور ولكن بالتدريج.. من حيث جلست
بدا لي أنه ينكمش بسرعة.. بسرعة.. كأنما هو يبتعد..
لكنه لم يخرج من الغرفة..»

«ولبن ذهب؟»

«هذا كل ما أستطيع قوله..»

«لبن ذهب يا (مايكل)؟»

قال (مايكل) في حيرة :

- « آسف يا (جوبال) .. أنا لا أجِد الكلمات التي أعبر بها ربما لو انتهيت من الموسوعة البريطانية أستطيع أن أعبر لك .. »

- « وما هو المدى الذي يمكن فيه أن يكون هذا السلاح مؤثراً ؟ لنفترض أنني كنت في حمام السباحة ؟ لنفترض أنني كنت على الجانب الآخر من الطريق .. هل تستطيع ممارسة حيلتك هذه ؟ »

قال (مايكل) :

- « (جوبال) . الأمر لا يتعلق بالمسافة ولا الرؤية .. الأمر يتعلق بالمعرفة عليك أن تستوعب Grok الشيء .. أنا أحتاج إلى أن أرى كي أستوعب .. لكن القدامى الكبار لا يحتاجون إلى الرؤية إنهم يستوعبون .. »

- « لو كان وزير الدفاع هنا ، لأعلن أنك سلاح سرى شديد الخطورة ، ولصادرك فوراً ! »

كان (مايكل) يشعر بخجل شديد . ولدهشة الرجل قال إنه تادم على اختفاء الرجلين . فهو لم يعد أن يضيع الطعام بهذه البساطة !

تناول (جوبال) منفضة تبغ ثقيلة وبولها لـ (جيل) . وطلب منها أن تتظاهر بضربه بها ، فقالت (جيل)

- « أعتقد أنك تسبب ارتباك لـ (مايكل) فهو يعتبرنا أخوى ماء له . وهذا التصرف أن يضرب أحدهما الآخر . غامض بالنسبة له .. إنه تصرف (غير مربخى) تماماً المفترض أن تحقق لجنة (للنشاطات غير المريخية)^(*) فيه ! »

رفع (جوبال) يده لأعلى وقال لـ (مايكل)

- « ليكن . سأقذف هذه المنفضة في الهواء وسوف تسقط على رأسي .. سوف تدميني وربما تقتلني ما لم توقف أنت ذلك .. »

وفعل ذلك . فهوت المنفضة من عل راح يقاوم الغريزة التي تدفعه لتحاشيها قبل أن تحدث أذى بالغاً لرأسه ، في اللحظة التالية لم تهو المنفضة ، وإنما ظلت معلقة في الهواء . سأل (ان) السكرتيرة :

- « ماذا ترين ؟ »

(*) يسجل الكتب ها من (لجنة نشاطات المعادى لأمريك Un-american) التي أنشأها (مكارثي) ، والتي قصت على مستقبل « آلاف الأدباء والفنانين وأساتذة الجامعة بتهمة الشيوعية ، ولمجرد أنهم يكلمون بلغة تختلف عن اللغة الرسمية للحكومة الأمريكية .

قالت بلهجة الشاهد العدل التقريرية :

- « لم تختف . هي معلقة في الهواء ، ولا شيء يربطها للسقف .. »

نظر لـ (مايكل) وسأله :

- « لماذا لم تختف هذه ؟ »

- « لأنك لم تطلب أن تختفى .. طلبت أن (أوقف ذلك) وقد فعلت هذا .. »

تذكر (جوبال) أن الفتى يتعامل مع الكلمات حرفياً .. عليه أن يكون أكثر حذراً في لفته معه ، مثلاً تعبيرات مثل (اختف من أمامي) أو (لم لا تسقط ميتاً ؟) .. قد تسبب كارثة هنا ! طلب من الفتى أن يخلي المنفضة فقال :

- « لا أستطيع .. رأسك لم يعد تحتها ، لهذا لا أستوعب للخطأ في وجودها .. »

- « هل بوسعك أن تنزلها ؟ »

- « نعم .. »

ولكن المنفضة ظلت معلقة في الهواء ، فنظر للفتى بدهشة وقال :

- « ما بك ؟ هل تعبت ؟ لماذا لم تنزلها ؟ »

قالت (جيل) :

- « (جوبال) . أنت سألته إن كان يستطيع إنزال المنفضة ولم تأمره بإنزالها .. لهذا أجاب (نعم) .. »

شعر بالضعة ، وكرّر الأمر بوضوح هذه المرة :

- « ليكن .. من فضلك أنزل المنفضة .. »

وببطء انزلت المنفضة من أعلى لتهبط برفّة فوق المنضدة .. جرى يتفحصها فلم يجد فيها شيئاً غير طبيعي .. لا هي باردة ولا ساخنة ، مجرد منفضة قبيحة بولغ في تزيينها ..

قال (جوبال) للفتى :

- « هل تعرف ما هو المسدس ؟ إنه ذلك الشيء الذي كان الرجلان يسندانه نحو (جيل) .. ماذا ستفعل لو رأيت أحداً يسند مسدساً نحو (جيل) ؟ »

- « لن أهدد الطعام ثانية ؟ »

- « نعم .. لو كنت تريد أن تفهم الأمر بهذه الصورة . أريدك أن تخفي المسدس وتترك الرجل .. تترك الطعام صالحاً للأكل ! »



- « نعم نعم حين تفقد اتحادك يا أخى (جوبال) أريد أن اكنك وأن احبك وأجلك مع كل قسمة .. حتى تنتهى وأستوعبك تمامًا .. »

قاوم (جوبال) شعور الغثيان ، وقال :

- « شكرًا يا (مايكل) .. »

كان (جوبال) قلقًا .. فى طفولته كان مولعًا بتربية الثعابين ، وقد ظفر ذات مرة بثعبان غير ضار هو (الثعبان القرمزى) .. وهو مخلوق رائع الجمال ، وقد احتفظ به ورباه وعرضه على الضيوف وكان يجيد فن التعامل مع الثعابين ، وكيف لاتعضه بأنيابها ؛ لأن عضه الثعابين - حتى غير السامة منها - مزعجة بما يكفى .. إلا أنه عرض هذه المجموعة ذات مرة على أحد خبراء الثعابين ، فكلد الرجل يفقد وعيه ، أخبره أن هذا الثعبان ليس ثعبانًا قرمزيًا ، بل هو (ثعبان المرجان) .. الكوبرا الأمريكية أخطر أنواع الثعابين السامة .. الخطر هنا كان يأتي من حقيقة أنه لا يعرف مدى خطورة هذا الكائن ، كان يستطيع قتله ببساطة كما يخمش القط ذراع طفل ، هذا ينطبق على (مايكل) . إنه يبدو وديعًا كالحمل ، وأقرب إلى طفل أخرق لا يعرف شيئًا . لكن لو لم يثق بك ثقة كاملة فبأنه قد ينقلب عليك فى أية لحظة .. خاصة لو شعر أن من أمامه يحاول إيذاء أحد إخواته المائنين ، ولسوف يقتل هذا الخصم ، ثم يبدى أسفه (لأنه أضاع الطعام) .. لا أكثر ولا أقل ..

أما عن موضوع الطعام هذا ، فهو لم يستطع أن يجد فيه شيئاً شاذاً .. لو بحثنا عن أجدادنا لوجدنا بينهم حتماً من مارس أكل لحم تبشر يوماً ، وهذا ببساطة لأن كل شعوب الأرض مارست هذا الطقس قديماً .. سواء كان أصلك إفريقيًا أو أوروبيًا أو هنديًا أحمر .. وكان (جوبال) يؤمن أن ما يمنعه من التهام جاره السمج - الذى يعتدى على ممتلكاته - وما يمنع هذا الجار من وضعه فى ثلاجته هو قشرة الحضارة لا أكثر ..

لكن (مايكل) متحضر . متحضر على الطريقة المريخية .. وبالنسبة له يعد أكل الآخرين طقساً شديداً السمو والأهمية .. إن المريخى يموت عندما يقرر أن يموت . هكذا . مثلما تغمض أنت عينيك لتريحهما ، وهنا يجتمع إخواته حوله ليأكلوه وهم يعدون مآثره ، بينما هم يضعون المستردة عليه .

فى أرض (لابوتا LAPUTA) الطائرة التى زارها (جليفر Gulliver) كان كل رجل مهم يمشى ومعه خدام يدعى (كليمنول) أو (الضارب) ، مهمته هى أن يضرب فم لو ألقى سيده بمثلة مجففة ، كلما رأى أن على سيده أن يتكلم أو ينصت ،

ومن دون هذا الخادم يستحيل أن تظهر باهتمام أى سيد من (لابوتا) ، مازال هذا التقليد - الذى اعتبره البعض خيالياً - يمارس على نطاق واسع اليوم ، لكن الأشخاص المهمين فى القرن العشرين لا يرافقهم (ضارب) ، وإنما يرافقهم من يطلق عليهم (المساعدون التنفيذيون) و(موظفو الاستقبال) و(سكرتارية الصحافة) .. إلخ .. قد تختلف المسميات لكن مهمتهم واحدة تجعلهم (ضاربين) . مهمة كل منهم منع أى اتصال من العالم الخارجى بـ (الرجل العظيم) .. ويكون هناك دوماً صمام أمان عبارة عن أشخاص يمكنهم الوصول للرجل العظيم من دون المرور بالضاربين ، هؤلاء الأشخاص يحيطون أنفسهم كذلك بالضاربين ، بحيث يصير عسيراً أن تصل إليهم بدورك ، وهكذا يتكون من يمكنهم عبور الحصار حول هذا الشخص ، وتتكون شبكة شديدة التعقيد

قال دارسو قصة (جليفر) إن (لابوتا) حتماً هى المريخ ؛ لأن وصفها بالضبط هو وصف الطبق الطائر ، لكن هذا غير صحيح ؛ لأن أهل (لابوتا) كانوا يعرفون نظام الضاربين ، فى حين لم يكن شىء كهذا وارداً لدى المريخييين . لو أن مريخياً أراد أن يتأمل فئديه كل الوقت ليفعل ذلك .. ولو أراد مريخى آخر أن يتحدث معه فعليه أن ينتظر شهوراً أو أعواماً أو ربما للأبد .. هناك لاداعى للعجلة أو التسرع .

كان (جوبال) يعرف هذا وهو يحاول الاتصال بالأمين العام . كان يعرف أن ما بقي له من العمر ليس كثيراً ، لذا حاول أن يستمتع به . وكان يحرص على أن تمر كل لحظة بلا خوف وبلا أمل .. أراد لنفسه عشاً أكبر من برميل (ديوجين Diogenes) لكنه أصغر من قصر (قوبلاي خان Kubla) .. لهذا ظل صابراً ، بينما سكرتير يحوله إلى سكرتير ثم إلى سكرتير برغم أن اسمه كان مهماً .. هكذا لم يصلوه بالأمين العام ، لكنهم كذلك لم يجسروا على التخلص منه . وكان يعرف أنه لو ذكر (الرجل من المريخ) لثم الاتصال فوراً ، لكنه كان يعتقد أن حياة (كاستون) في خطر ، لذا يجب عدم النعب بهذه النقطة الحساسة .. في النهاية ظهر على شاشة الهاتف وجه رجل عرف على الفور أنه شرطى ..

قال الشرطى في صرامة :

- « د (جوبال) أريد معرفة السبب الذى تريد الحديث مع الأمين العام لأجله .. »

- « اسمع يا بنى . أنا أدفع الضرائب التى منها تتقاضى راتبك . ومنذ الصباح يحولنى موظف أشبه ببقرة ذات مخ فراشة إلى موظف آخر . ليس من شأنك أن تعرف لماذا

أريد الكلام مع الأمين العام .. وإن لم تكن لديك سلطة فصلنى بمن هو أعلى سلطة منك !! »

- « د (جوبال) . أرجو أن تجيب عن سؤالى . »

- « لماذا ؟ لا بد لى من أن أعرف أسبابك وأرى هويتك .. حتى فى عمليات المداومة تتم هذه الإجراءات ، فهل أنت فى حالة مداومة ؟ »

- « أنا أدعى (هاينريش) .. وأنت د. (جوبال هيرشو) . نتحدث من ... »

- « هل استغرقتم كل هذا الوقت لأجل ذلك ؟ يمكن لأى شخص معرفة رقم هاتفى وعنوانى .. لو ذهبت لأية مكتبة أو فتحت أية جريدة لعرفت من أنا .. هل تقرأ ؟ »

واحتكم النقاش ، ثم أغلق السماعة ، وقرر أنه ألقى بالطعم على الأقل ..

حلقت السيارة الطائرة الأولى حول البيت ، ثم بدأت تهبط فى فسحة فى الحديقة جوار حمام السباحة . أما الأخرى فراحت تحوم حول البيت ببطء وعلى ارتفاع منخفض ..

كانت السيارات الطائرة سوداء وعليها شعار رسمى : الكرة التى تمثل الاتحاد . كان (جوبال) يتوقع هذا ؛ لذا أمر سكرتيرته (آن) بأن ترتدى عباءة الشاهد العدل ، وأن تتابع كل تفاصيل المحادثة ..

اندفع (جوبال) نحو سيارة الأولى متوثباً للقتال ، وصاح فى الرجل ..

- « أبعد هذه الكومة القذرة عن شجيرات وردى .. »

سأله الرجل :

- « جوبال هيرشو ؟ معنى إذن تفتيش هنا .. »

هنا فقط عرف (جوبال) الرجل .. فنظر له فى لزراء وقال :

- « أنت ؟ هل ولدت غيباً يا (هاينريش) أم أنك احتجت لأن تتعلم هذا فى المدرسة ؟ ومنذ متى تعلم هذا الجحش الذى جاء بك إلى هنا الطيران ؟ صباح اليوم ؟ منذ مكالمتى معك ؟ »

التفت الرجل بهرود إلى رجاله ، وقال :

- « أبعدوا الطائرة عن الزهور .. كونوا أكثر حذراً يا رجل .. »

- « هذا لا يعفيكم من طلب التعويض عن الأضرار .. والآن قم لى نفسك وهويتك بوضوح ونظم .. فلنا لا أعرفك .. تهدو لى كالأحمق الذى كان يكلمنى على الهاتف اليوم ، لكن هذا لا يثبت شيئاً .. لنا أتهمك بالتهدى على ممتلكاتى إلى أن تثبت العكس .. وسوف أستعمل كل ما لدى من قوة لطردك خلال ثلاث دقائق .. »

- « لا تصح بهذا .. »

- « هنا بصير ما تقومون به هجوماً منظماً بأسلحة قاتلة ، لو كان هذا الذى تحمله بفالك أسلحة .. لسوف ينتهى الأمر بأن أستعمل جلدك ممسحة أمام بابى يا زميل .. »

- « ليكون .. سنفعل الأمر بطريقتك .. »

ووقف أمام (آن) - التى طلب منها (جوبال) أن تتبس روب الشاهد العدل - ونكر اسمه ورتبته ورقمه .. وكذا فعل كل رجاله .. كانت معه أوامر بضبط كل من (جوبال هيرشو) و (جيل) و (فالنتين مايكل سميث) .. والطريف أن (جيل) متهمة بختف (فالنتين) ، أما (فالنتين) فمتهم بالفرار من البوليس ..

قال (جوبال) في استمقاع :

- « أليس هذا غريباً ؟ خطف أم هرب ؟ ومع هرب ؟ بآية تهمة ؟ »

- « كيف لي أن أعرف ؟ إنه هارب وكفى .. »

كان (فالتين مايكل سميت) يسبح تحت مياه الحوض إلى ما تحت لوح الغطس - كما أمره (جوبال) عندما رأى الطائرات - وهو لا يعرف أنه مختبئ .. لقد أمره أخوه الملقى بذلك ، وقال له أن يبقى حتى تأتي (جيل) وهذا كاف .. هكذا تكور حول نفسه في وضع الجنين ، وأخرج للهواء من رلتيه ، وثنى لسانه للخلف ليسد حلقومه ، وخفض معدلات نبضه هكذا صار بالنسبة لنا ميتاً ، لكنه لم (يفقد تحلده) بعد ، وما زال قادراً على أن يعد تشغيل نفسه لدى الحاجة لذلك ..

كان يشعر بأن إخوته المائين في مشكلة ما .. لكنه لا يستطيع أن يخالف أمر أخيه (جوبال) .. (جوبال) أمره أن يبقى تحت الماء .. هذا نموذج للغة للبشرية الرخوة التي تتحمل أكثر من معنى . (جوبال) أمره بالبقاء هنا ، لكن هل أمره بأن يظل مع جسده ؟ لا .. وفي هذه الحالة يمكنه أن ينفذ لأمر حرافياً بأن يبقى جسده تحت الماء ويخرج هو ليرى

لقد فعلها كثيراً لكن ليس وحده .. كان هناك دوماً واحد من الكبار القدامى معه يشرف على العملية ، إلا أنه كان يعرف أنه سريع التعلم ، هكذا غادر جسده بعدما ألقى نظرة على كل جزء فيه ؛ ليتأكد من أنه في أمان وأنه سيجده سليماً عندما يعود ..

كان أول ما رآه هو سيارة طائرة تقف فوق العشب .. أليس هذا هو الخطأ ذاته ؟ الأكثر خطأ أن (جوبال) كان يركض نحو رجل .. وهو غاضب جداً غاضب إلى حد لو مارسه مريخي مع مريخي آخر لتلاشى الاثنان فوراً .

قرب الرجال كانت السكرتيرة (دوركاس) . وكانت خائفة .. جوارها كانت (ميريام) وكانت هادئة تضع ثقتها في (جوبال) .. أما (أن) فكانت تلبس روبا طويلاً وعقلها في صورة غريبة .. صورة ذكرته بقول الكبار القدماء على المريخ ، وهو شيء لم يستطع فهمه ..

رأى (جيل) تقترب من الماء ، وهنا رآها تصرخ واحد هؤلاء الرجال يلاحقها .. كان الرجل يحمل سلاحاً ، وهذا شيء خطأ آخر .. كان قد وعد (جوبال) ألا يضيع الطعام ، لكنه كذلك لم يتحمل أن يرى أخا الماء في ورطة ؛ لذا تخلص من الرجل الذي يهاجمها ..

أخرج الرجال الآخرين أسلحتهم وقد اتسبب غضب
وذعر غير مسبوقين ؛ لذا كان عليه أن يلحقهم بمن سبق ..
راح يتفقد الطائرة في حذر .. وفهم أنها مليئة بالأسياء
الخاطئة .. لهذا أخفاها بدورها .

كان الجميع من أصدقائه في حالة هياج . (دوركاس)
تبكى و (جيل) تحتضنها وتهدهنها .. لقد ذهب الخطأ ..

كان يخشى أن يلومه (جوبال) ؛ لأنه ترك الحوض دون
إذن ؛ لذا عاد إلى الماء وقد شعر بأن مهمته انتهت .. كان
جسده هناك سليماً كما تركه ، لذا عاد إليه ..

كان يتمنى أن يقضى الوقت في تأمل وتوقير الرجال
الذين تخلص منهم ، لكنه شعر بـ (جيل) تدنو منه تحت
الماء ، أخرج لسانه من حلقه وتأهب للاستيقاظ عالماً أن
أخاه (جيل) لا يستطيع البقاء تحت الماء طويلاً ، فلما بنت
منه وضع يديه على جانبي وجهها .. هذا شيء تعلمه
مؤخراً ولم يفهمه قط .. لكنه اعتاده ..

لم ينتظر (جوبال) حتى تخرج (جيل) طفلها المزعج
من تحت الماء .. ونادى (ميريام) التي جاءتته ملهوفة :
- « سيدى .. أنا .. »

- « اخرجى يا (ميريام) .. بعد أسبوع سوف نجلس
حول (آن) ، ونطلب منها أن تفسر لنا ما رأينا .. لكن في
هذه اللحظة سيأتى كل واحد مع ابن خالته إلينا . وسوف
يسقط الصحفيون من فوق الأشجار ؛ لذا يجب أن أجرى
بعض المكالمات .. هل أنت طراز المرأة التي لا يصير لها
نفع حين نحتاج إليها ؟ »

- « كف عن استفزازى .. هذا الموقف يجعل أى واحد
هستيرياً .. »

انطلق إلى مكتبه وهي خلفه .. كان يعرف أولاً أن
ما حدث حدث بفعل (فالنتين مايكل سميث) وإن كان لم يره
خارج الماء .. كما كان يعرف أن الاتصال بالأمين العام
(دوجلاس) صار ضرورياً ، لكن كيف ؟ كيف يخترق حصار
السكرتارية من حوله ؟ فكر فى (توم ماكنزى) مدير
الشبكات الذى يتعامل معه .. هكذا طلبه على الهاتف المرئى
وسأله عن كيفية الاتصال بالأمين العام .. فقال الرجل :

- «أنا شخصية معروفة ومهمة ، لهذا لا يطول الأمر .
يقوم ثلاثة بتحويلى إلى السكرتير الخاص وهو يصفى
لموضوعى ..»

- «لكنى لا أريده هو . أريد الكلام مع (دوجلاس)
شخصياً . لربما كان السكرتير نفسه متورطاً فى الموضوع
الذى لن أصرح به ..»

- «مستحيل .. ما لم يقتنع السكرتير الخاص بأهمية الأمر .
من ثم يعطينى موعداً بعد يومين ..»

- «لكن لنفترض أنك تريد لقاء (دوجلاس) فوراً وشخصياً .»

- «مستحيل . أحياناً - لو كان الأمر حاسماً جداً - أهدد
بأن أوغر صدر الشبكة على الأمين العام ..»

- «إنن الفعل هذا الآن ..»

- «مستحيل . لا يمكن أن أفعل هذا لشخص آخر ..
ليس الموضوع اتنى لا أريد . فقط أنا لا أستطيع .»

- «حسن يا (توم) .. لن ألوى ذراعك . لكن من الرجل
الذى يملك السلطة للاتصال بالأمين العام متى أراد ؟»

- «لا أحد يا (جوبال) ..»

- «اللغة ! لا أحد يعيش فى فراغ !»

- «حسن .. سأخبرك بمعلومة .. لكن لو تسربت منك
فلسوف أقطع حلقك بأحد كتبك .. إن زوجة الأمين العام
تؤمن بعلم الفلك .. ولها سيطرة شبه تامة على زوجها .
إنها تتق كثيراً بعرافة تدعى مدام (ألكساندرا فيزان) ..
ف . ي . ز . ا . ن . ت . يمكنك أن تتصل بهذه
العرافة ، ولربما احتجت إلى أن ترشوها .»

- «شكراً . أنت أسديت لى عالماً من الخدمات !!»

ووضع السماعة ثم طلب رقماً آخر ، بعدما قام بتشغيل
جهاز تشويه المكالمات . والغريب أنه فى هذه المرة ظهر
وجه مدام (فيزان) على الشاشة على الفور وبلا إبطاء
رائته فهتفت :

- « (جوبال) ! أيها الوغد العجوز ' أين كنت ؟»

- «مختبئاً يا (بيكى) ' إن المهرجين يقفون أثرى . أنا
فى مشكلة ، ولن ينقذنى إلا أن أقبل الأمين العام الآن وحالاً ..
لاحظى أنهم يقذفوننى بالطوب ، وأى شخص بقربى سوف
يبتل بالماء .. هناك أمر فيدرالى بضبطى ولنسوف يأتون فى
أية لحظة . أنا خائف من تلك الغرفة الخلفية التى يحملون

إليها المعتقدتين .. لقد صرت أكبر سناً من قذهب إلى غرفة الخلفية .. ما أريده هو رقم هاتف يرد عليه الأمين العام .. رقم واحد ..

هكذا وعدته بالتصرف وأغلقت الخط ..

صاحبت السكرتيرة أن المزيد من الدوريات الطائرة قادمة إلى البيت ، فصاح (جوبال) :

« أغلقوا الأبواب ! (جيل) لابق (مايكل) معك ولا يتحرك إلا بإذنك .. (مايكل) . ابق مع (جيل) .. لا تقبدي حريته لو بدعوا في إطلاق الرصاص حتى لا يقتل أحدا .. لكن مسلسل اختفاء رجال الشرطة هذا يجب أن يتوقف . »

هنا دوى جرس الهاتف ، وظهر على الشاشة وجه يقول :

« د. (جوبال) .. إن الأمين العام سيكون معك حالاً .. »

لقد فعلتها (بيكي) البارعة ! وبعد ثوان ظهر وجه الأمين العام نفسه على الشاشة ..

« د. (جوبال) .. عرفت أنك تريدني لأمر مهم .. هيا .

تكلم .. »

قال جوبال في هدوء :

« حسن يا سيدي الأمين العام .. الواقع أنني محامي للرجل من المريخ ! »

« ماذا ؟ »

« نعم .. أنا محامي (فالتنتين مايكل سميث) .. ربما تفكر في كسفير قطي عن المريخ .. »

« لا بد أنك جننت . رجل المريخ هو في الإكوادور الآن .. »

« سيدي .. لا أحد يسمع هذه المحادثة ، وأنت تعرف كما أعرف أن رجل المريخ ليس في الإكوادور ، وأن اللقاء التليفزيوني كان مزيفاً .. الرجل حصل على حريته من سجنه غير القانوني ، ولسوف يحتفظ بها .. ولو كان أحدهم أخبرك بشيء آخر فهو كذاب .. لهذا طلبت لقاءك بشكل خاص .. »

هنا دوى صوت عال من أسفل فقال (جوبال) :

« في هذه اللحظة بالذات .. رجال الجستابو الخاصون بك .. هؤلاء البلطجية . يقتحمون بيتي . والآن هل نسوى هذا الموضوع بشكل ودي هادئ ، أم نتصادم أمام المحكمة العليا مع كل الفضائح الناتجة عن هذا ؟ »

تبادل الأمين العام كلاماً هامساً مع شخص بجواره ، ثم عاد يقول :

- « أؤكد لك أنه لا علم لى بقيام رجال العمليات الخاصة بملاحقتك .. »

ثم أدار (جوبال) الكاميرا ليظهر فيها (مايكل) و (ان) و (جيل) . لم يقدم (ان) ، لكن روبها الأبيض بدا واضحاً على مهنتها .. وأمر السكرتيرات :

- « افتحوا الباب ودعوهم يدخلوا .. تعال هنا ليها قريب .. »

كان ضابط العمليات الخاصة قد دخل الغرفة وسلاحه فى يده ، فاستدار ينادى الميجور . فلما دخل هذا الأخير الغرفة هتف به (جوبال) :

- « تعال وكلم الأمين العام على الشاشة . »

- « لا شيء من هذا أنت تحت الاعتقال .. »

ثم رأى الشاشة فأصابه الذهول . تصبب وأدى التحية .. فسأله (دوجلاس) :

- « الاسم والرتبة .. »

أعلن للميجور بيلتته .. وقال إنه جاء يبحث عن مجموعة سابقة جاءت هنا لبعض الاعتقالات ، لكن أحداً من أفرادها لم يعد أو يتصل بهم .. هنا نظر الأمين العام إلى (هيرشو) متسائلاً ، فقال :

- « لست مسئولاً عن رجالك ، ولست مربية مكلفة بسلامتهم ، لكن مما رأيته من ذكاء هؤلاء أعتقد أنهم ضلوا الطريق . إنهم عاجزون عن العثور على خنزير فى مقبس الحمام . وأنا أطالب بأن أرى طلب الضبط الذى معهم »

قال للميجور فى ارتباك :

- « سيدى . هناك أمر ضبط عدة أوامر . لكنها كانت مع الضابط (هاينريتش) وهو قد اختفى .. »

قال (دوجلاس) على الشاشة مغضباً :

- « ماذا ؟ تفتح بيت هذا المواطن من دون أمر ضبط ؟ عد إلى قسم الشرطة وضع نفسك فى الحجز حتى أنظر فى أمرك .. والآن تصرف .. »

وهكذا دارت المفاوضات مع الأمين العام .. سوف يسقط أوامر اعتقال أصدقائنا ، وفى المقابل ستتم مفاوضات ..

مفاوضات أصر (جوبال) على أن تكون عطية تغطيها الشبكة التي يتعامل معها .. وكذلك أصر على الإفراج عن (كاكستون) . لم يبد الأمين العام على علم بمكان (كاكستون) ، لكنه كان يأبى بإصرار أن يحضر المفاوضات ، فهو صحفي مشاغب وعموده مزعج دائماً .

- « سيدى . قلت من قليل إن رجالك عاجزون .. كنت منفعلاً بسبب اقتحامهم بيتى . لكنى مؤمن بكلماتهم .. لو كلفتهم بالبحث الجدى عن (كاكستون) فليسوف يجدونه أو يجدون جثته خلال ساعات .. »

هكذا بدأ رجال الصحافة والإعلام يتوافدون على البيت ، وكان (جوبال) فى حال من الرضا التام عن النفس .. لقد ربح المعركة . ولم يثبت أن اتصل به الأمين العام يبلغه أنهم وجدوا (بن كاكستون) ..

- « لماذا لم تخبرنى أنه مدمن خمر ؟ »

- « ماذا ؟ »

- « لقد وجدوه وحيداً فى حديقة عامة فى (سونويا) .. »

يبدو أنه كان يمر بنوبة شرب .. يقولون إن حالته مزرية .. ذقنه غير حليقة .. ثيابه قذرة . رائحته كالعفن .. لكنه قادم إليك حالاً على ظهر سهم طائر .. سيكون عليك أن تعطينا إيصالاً باستلامه .. »

- « شكراً لك سيدى .. شكراً على كل شيء .. »

بعد قليل وصلت طائرة تقل (كاكستون) .. بالفعل كانت حالته مزرية .. وقد هرع (جوبال) يحتضنه ، وسأله عما حدث له .. فقال (كاكستون) :

- « أنا ثمل .. لكن . لكن لم أشرب خمرًا .. »

- « إذن ماذا حدث ؟ »

- « لا أعرف .. »

بعد قليل تم إفراغ معدة (كاكستون) .. لم يكن فيها إلا الكحول وعصارة معدية . لا طعام .. وحقيقته (جوبال) بعقار يخلصه من أثر الكحول . ثم جعلوه يغتسل وجلبوا له ثياباً نظيفة .. ثم جلس يشرب اللبن ويأكل طعاماً خفيفاً .

حاولوا أن يعرفوا منه ما حدث ، لكن بالنسبة له لم يكن للأسبوع الأخير وجود ..



- « لا أذكر إلا أنني فقدت وعيي في سيارة أجرة . بعد هذا لا أستطيع أن أقسم على شيء .. كنت هناك مزرعة وسيدة .. كانوا يخدروني طيلة الوقت .. وفي النهاية جعلوني أفيق في حالة أقرب إلى الثمل .. لكن .. بالفعل لا أذكر ما حدث .. »

قال (جوبال) مهدناً من روعه :

- « دعك من هذا . أنت حي . وكان بوسعني أن أراهن على عكس هذا . سوف يقوم (دوجلاس) بما نطلبه منه ، ويحب ذلك .. »

وبعد قليل كان (كاكستون) في فراشه يغط في نوم عميق ، بعدما شرب كوباً من اللبن الدافئ

كان (جوسال) نفسه بحاجة إلى الشيء ذاته .. لقد كان يوماً طويلاً ، ما كان يتمنى أن يفوته ، لكنه لا يتمنى أن يتكرر أبداً ..

في اليوم التالي قضى (كاكستون) وقته يستعيد قواه ويعرف تفاصيل ما فاتته من (جيل) .. وللمرة الأولى يقترب من (مايكل) إلى هذا الحد .. كان الشعور الغالب عليه نحو (مايكل) غامضاً ، وإن قدر أنه الغيرة ببساطة . إن تقارب (جيل) مع الرجل القادم من المريخ لم يكن مريحاً له وفي هذه المرة أدرك أنه يرغب فعلاً في أن يتزوج (جيل) ، وقد طلب منها هذا بلا إبطاء وبلا أية نغمة مازحة في الأمر .. فقالت له :

- « أرجوك يا (بن) .. »

- « ولم لا ؟ إنني قادر على الإنفاق . ولدي عمل جيد .. صحتي طيبة أو ستكون كذلك . عقاير الحقيقة التي ملئوا دمي بها ستزول .. وإن كانت لم تزل تماماً بعد ، لذا أصرحك بأنني أحبك .. هل أنا أكبر سناً مما يجب ؟ هل أنا أقل مما يجب ؟ »

قالت في حرج :

- « (بن) أرجوك لاتعقد الأمور .. فقط لدى .. مسئوليات الآن .. »

حاول أن يعزى نفسه بأن الفتى من المريخ ليس منافسًا بل هو مريض .. على كل من يتزوج ممرضة أو طبيبة أن يقبل اهتمامها الأمومي بالمرضى . وقد قبل طقوس الماء من (مايكل) في رضا وترحيب . ولم ينكر أن في (مايكل) شيئًا يجعلك تحبه منذ اللحظة الأولى .. وتتمنى أن ترعاه للأبد ..

كان (جوبال) يعرف أن (دوجلاس) متورط في اختفاء (بن) .. ربما تم الأمر بأمر منه ، ولربما أعد العدة لقتله .. لكن قد صار عليه الآن أن يتناسى هذا ويتأهب للمفاوضات المرتقبة . ثم إنه لا يستطيع إثبات ذلك . لو أن رجل شرطة ضرب متهمًا بعنف ، فهناك فرصة لا بأس بها ، لكن مدير الأمن نفسه لا يعرف شيئًا عن هذا ، ولم يقره .. وقد قال لـ (بن) :

« أعتقد أن السبب الوحيد لبقائك حيًا هو أن (دوجلاس) لم يرد قتلك ، وإلا لجففوك مما لديك من معلومات ، ثم تخلصوا منك بجهد لا يزيد على التخلص من فلر ميت في المرحاض . لماذا لم يفعلوا هذا ؟ لأن رئيسهم لم يرد ذلك وهم لم يريدوا المخاطرة بمناصبهم .. »

في العاشرة من صباح اليوم التالي . هبطت طائرة الوفد المفوض عن المريخ الذي نظمه (جوبال هيرشو) خارج القصر التنفيذي . ولم يكن المطالب السلاج بعرض المريخ (مايكل سميث) قلقًا بصدد الرحلة . لقد استمتع بكل لحظة من الطيران كله تحت سطح الماء .. وقد راحت لسكرتيرتان (دوركاس) و (ميريان) تشرحان له كل شيء يراه .. كانت المرة الأولى التي يرى فيها مدنا ويستوعب كوكب الأرض بدقة . لأن هذه الفرصة لم تتح له منذ كان في المستشفى حتى وصل شقة (بن) .. ثم بيت (جوبال) الذي تحيط به الأسوار .. وقد رأى (واشنطن) من الجو فقذر أن عمرها قرنان . هذا هو الوقت الذي تتحلل فيه المدن وتحول إلى تراب . إن المدن كما يعرفها هو ليست إلا بيضة

هبطت الطائرة خارج القصر ، وطلب الحراس من (جوبال) والآخرين أن يتجهوا إلى قاعة جانبية حتى بدأ المؤتمر . لكن (جوبال) لصر على أن يدخلوا قاعة المؤتمرات التي تعج بالصحفيين حاليًا . وكانت فكرته هي أنه يريد أن يرى الجميع (مايكل) ، ويلتقطوا له الكثير من الصور ، قبل أن ينفرد به الأمين العام .. كلما كانت هناك ضجة إعلامية كان هذا أفضل ..

ما إن رأى الصحفيون (مايكل) حتى حاصروه .. وقد سبق أن قال له (جوبال) إن البشر يتصرفون أحياناً تصرفات شبه مجنونة . حاول بعض الصحفيين أن يسألوه عما إذا كان يفهم معنى كلمة (ورثة) و(ملكية) ، لكنه كان يعرف أن عليه ألا يدلّ على برأى مباشر .. لذا كان يردد غيباً صفحات كاملة من تعريف الملكية من كتب القانون ، بنفس دقة ورتابة وملل أحد أساتذة القانون الكبار ..

كانت الضوضاء قد بدأت تخيف (مايكل) ، لولا أنه رأى أن إخوته المائتين غير خائفين .. فجأة رأى شخصاً يدخل القاعة عرفه على الفور فصاح :

« أخى د. (محمود) ! »

وراح يتكلم بحرارة وبلا توقف باللغة المريخية .. لحق به كبير المترجمين ووقفاً معاً يتكلمان بتلك اللغة غير البشرية التي تتخللها أصوات تشبه صوت خرتيت ينطح عربة لورى . تحمل الصحفيون قليلاً ، ثم سألوا (محمود) عما يقوله . نظر لهم وابتسم وقال بلهجة أكسفوردية :

« أكثر الوقت لطلب منه أن يتمهل فى الكلام قليلاً لأنهم !

أما باقى المحادثة فشخصى تماماً ولا يهمكم فى شيء .. »

لم يحب (جوبال) (محمود) ؛ لأنه بدا على قدر من التصنع والتأنق الزائد .. لكن (مايكل) يعتبره صديقاً ، إذن هو صديق حتى يثبت العكس ، بينما رأى (محمود) أن (جوبال) غير مهندم وريفى نوعاً . وكان يؤمن أن كل العلماء الأمريكيين ناقصو العلم وغير متحضرين . لكن (مايكل) قدم له كل هؤلاء باعتبارهم إخوته وعليه أن يقبل هذا . لقد رأى المريخ وعرف ما يعنيه المريخيون بالعلاقات الشخصية .. هذه بديهيات هناك لا علاقة لها بالهراء الأرضى عن (الأشياء التى تشبه الشيء الواحد تشبه بعضها) ..

قدم له (هيرشو) سكرتيراته . وقدمت له (جيل) نفسها بالمريخية مستعملة ذات الطبقات الصوتية للفظية (أخ ماتى) .. فحياها بنفس اللغة ، وكانت هذه واحدة من تسعة أصوات مريخية تستعملها بكفاءة ، والسبب هو أنها تسمعها عدة مرات يومياً .. صبت (جيل) كوباً من الماء من دورق على المنضدة ورشفت منه رشفة ، ثم تناولته لـ (محمود) وقالت :

« عشى هو عشك .. »

رشف رشفة ، ثم ناول الكوب لـ (جوبال) الذي رشف رشفة أخرى وقال :

« دعه لا نظماً بعد الآن أبداً .. »

ثم ناول الكوب لـ (دوركاس) التي قربت الكوب من شفيتها .. وقالت لـ (جوبال) :

« هل تعرف جيداً أهمية هذه الطفوس لـ (مايكل) ومن ثم لنا ؟ »

« طبعاً وإلا ما شربت .. »

هكذا رشف رشفة وقالت وقد دمعت عيناها :

« لتكن شربتك عميقة .. الماء .. الحياة .. أخونا .. ليكن عشك عسى .. »

ثم ناولت الكوب لـ (ميريام) .. راقب (محمود) هذه الطفوس في رضا ؛ لأن (مايكل) يحبها . وإن كانت تشعره بنوع من الوثنية كلما رآها . هنا جاء رئيس البروتوكول يطلب من (محمود) أن يجلس عند طرف المائدة كما هو محدد له ؛ لأن الأمين العام ات حالا . لكن هذا رفض وأصر على أن يجلس جوار أخيه الماتى (مايكل) ..

قال (جوبال) لرئيس البروتوكول :

« اسمع يا بنى . صديقى د. (محمود) سيجلس حيثما أراد .. ولا شأن له ببروتوكولك .. أنا د. (جوبال هيرشو) وإن لم تكن تعرف اسمى فإن بوسمك تمزيق هذه القائمة التي تحملها .. »

« يجب على د. (محمود) أن يجلس خلف الأمين العام ليكون قادراً على الترجمة . هذه المائدة مخصصة للوزراء وكبار القضاة .. »

كان من الواضح أن (جوبال) لن يتزعزع . بل إنه هذ بالرحيل ، ومعنى هذا ببساطة أن يفقد الرجل منصبه .. هكذا استسلم لما يقوله (جوبال) ..

رتب (جوبال) بعض التفاصيل مع مدير البروتوكول .. كان يريد أن يوضع العلم الذى لفقه كأنه علم المريخ جوار (مايكل) ، وأن تعزف الفرقة السلام الوطنى للمريخ .. طبعاً كان هذا اللحن ملفقاً بدوره لا يعدو النفحات الأولى من مقطوعة أرضية هي (الكواكب العشرة) ..

وهكذا أعلن الحاجب وصول السيد الأمين العام رئيس للولايات المتحدة .. مد (جوبال) يده ينيبه (مايكل) للنهوض

على حين دخل (دوجلاس) القاعة واتخذ مقعده عند طرف المائدة ، هنا بلعسة أخرى من يده جعل (جوبال) (مايكل) يجلس النتيجة هي أن الأمين العام ورجل المريخ جلسا قبل أن يجلس أي واحد آخر في القاعة .. كان (جوبال) يريد أن يعطى لقاء (مايكل) مع (دوجلاس) طابع لقاء ندين . وحينما عرفت الفرقة المقطوعة الزائفة (السلام الوطني للمريخ) هب (جوبال) واقفاً في احترام ، فهب (دوجلاس) بدوره .. وهكذا نهض كل واحد في القاعة احتراماً لهذا الرمز الوطني المريخي ..

رحب (دوجلاس) بـ (مايكل) وإن لم يتضح من كلماته ما إذا كان يعتبر (مايكل) سفيراً للمريخ أم مجرد سائح عائد للأرض ووقف (مايكل) بدوره فتكلم بالمريخية ثم ترجم ما قال :

- «سيدى أمين علم اتحاد الدول الحرة لكوكب الأرض»

ثم عاد يتكلم بالمريخية :

- «نشكرك على حفاوتك بنا . نحن نجلب لك تحيات القدامى على كوكب المريخ ..»

كانت هذه فكرة (جيل) .. تبديل اللغات أثناء الخطاب ، وقد راقت لـ (جوبال) لأنها تضيف على خطبة خالية من المعنى طابعاً مؤثراً كأنها أوبرا لـ (فاجنر) .

قال (جوبال) للأمين العام بعدما انتهت المراسم :

- «سيدى . إن أمام (مايكل) الكثير ليتعلمه هنا ، لأنه لا يعرف الكثير عن قوانين الملكية .. أنا رجل شيخ ولا يوجد أمامي وقت طويل كي أعلمه . لهذا يطلب منك (مايكل) رسمياً أن تقبل أن تكون محاميه وتتولى أملاكه »

بدا للذهول على الأمين العام وقال :

- « هذا طلب صعب ياكتور .. »

- « أعرف يا سيدى .. قلت له إنك أكثر الرجال انشغالاً على ظهر الأرض ، لكن هذا لم يؤثر فيه يبدو أنه على المريخ ، كلما ازداد انهماك الرجل توقع منه الناس أكثر .. لقد طلب منى أن أسألك وهو لا يتوقع إجابة الآن وهذه عادة المريخية أخرى : هم لا يتعجلون أبداً .. كما أنهم لا يطلبون عقوداً وتوكيلات . هذه نقطة أخرى لدى المريخيين : متى وثقوا فيك فطوا هذا لأقصى مدى . وهذا الرجل ليس موجهاً للأمين العام بل هو موجه لك بشكل شخصى .. أى أنه حتى بعد انتهاء فترة خدمتك فإن من يأتى بعد لا علاقة له بالموضوع . وفى حالة عدم قبولك سيكون على أن أعهد بالموضوع للسيد (بن كاكستون) . »

في الفندق الذي اختاره (جوبال) عشوقياً .. حتى لا تكون فيه أجهزة تنصت - دارت مناقشات طويلة بينه وبين (محمود) حول معنى كلمة Grok التي يستعملها (مايكل) كثيراً ..

قال (محمود) في حيرة :

- «إنها كلمة غامضة .. لو أردت أن أشرحها لكتبت مجلداً كاملاً، وبرغم هذا لن أتمكن أبداً من ذلك .. إنها تضم معاني الفهم الشامل والاحتواء .. أنت تعرف أنه من العسير على غربي أن يفهم القرآن جيداً ما لم يلم بالعربية جيداً .. مهما كانت الترجمة جيدة، فلا بد لك كذلك من أن تملك ثقافة وخلفيات عربية لتفهم حق الفهم .. عندما تعلمت الإنجليزية كنت أستعملها جيداً، لكن ظل جزء منها غامضاً بالنسبة لي إلى أن عشت في الغرب فترة، وتعلمت جزءاً من خلفيتكم الثقافية .. لهذا من الصعب علينا أن نفهم لفظة Grok ما لم يكن جزء منا مريضاً .. لو أردت الترجمة الدقيقة للفظه فهي تعني (يشرب) !»

هتف (جوبال) في دهشة :

- «لم يمارس (مايكل) قط شيئاً له علاقة بالشرب وهو يستعمل هذه اللفظة ..»

كان الأمين العام مرتبكاً، لذا قال :

- «لن أعطى إجابتي حالاً .. لكن هل هذه رغبتك فعلاً يا (مايكل) ؟»

كان (مايكل) معذراً لهذا السؤال، لذا وقف وقال بصوت عال واضح :

- «نعم يا سيدي .. أرجو أن تقبل ..»

وطالت المناقشات حتى شعر (جوبال) أنه مرهق، لذا طلب إنهاء هذا اللقاء إلى أن يتخذ الأمين العام قراره ..

هنا تدخل (مايكل) في المحادثة :

« Grok هي الشرب .. »

قال (محمود) :

« من العسير أن تفهم العلاقة لكنها تحمل معنى تسرب الفهم إلى داخلك . اللفظة أيضا تعني الحب الشديد وتعني المقت لا يستطيع المريخي أن يكرهك فعلاً ما لم يستوعبك ، وفي هذه الحالة فإنه كذلك يحبك بينما هو يكرهك لقد فهم المريخيون منذ زمن ما احتجنا نحن إلى قرون لفهمه . لا يمكنك أن تلاحظ شيئاً دون أن تتأثر به أنت نفسك لا يمكنك أن تكون ملاحظاً محايداً .. ولو أنني قمت بفرمك وصنعت منك بخنة وأكلتك ، فإتني قد قمت بعملية Grok لك ، ولا يهم هنا من الذي أكل الآخر .. »

هنا تدخل (مايكل) ثانية :

« معك حق أنت إله يا أخى (محمود) .. »

هنا هز (محمود) رأسه وقال لـ (جوبال) :

« هل فهمت ؟ لسنا مريخين قلن نطفر من هذه المناقشة

إلا بالتجديف والكفر لن نفهم أبداً »

هنا سأل (بن) (جوبال) عن السبب الذي جعله يطلب من (دوجلاس) أن يدير أمور الفتى المالية . قال (جوبال) :

« يجب أن يعرف الجميع أن (مايكل) لا يملك لملكه . ولومات (مايكل) فإن الثروة تكون مسئولية (دوجلاس) بالكامل .. هذه هي طريقتي لحماية حياة الفتى .. لقد جردته من ثروته ، ولو استطعت لجردته من أية أهمية سياسية (مايكل) لا يبالي بالمال ولنسوف يعوقه .. الثراء الشديد كارثة خاصة لو لم تكن أنت مخلصاً للمال تكرر حياتك لجمعه .. أنا لست من هذا الطراز ، ولا أبالي (بجمع المال) وإنما أنا مهتم (بإتفاقه) . أريد أن أترك وشأني ، وأن أقضى مسابقي لى من عمر أمارس حياتي الكسول الفارغة .. (دوجلاس) كذلك لا يبالي بالمال .. إنه يهتم فقط بالقوة السياسية وهي نفمة لا تستطيع أذن سماعها .. »

الجزء الثالث عن تعليمه العجيب

131

عند أحد طرفي مجرة حلزونية قرب نجم يدعى (سول) ،
راح نجم آخر قريب يمرُّ بتحوّلات كارثية ليتحول إلى
(نوفاً nova) ، وسوف تتبدى عظمة المشهد على كوكب
المريخ خلال 729 عاماً أو 1370 عاماً أرضياً . وقد قال
الكبار للصغار إن هذا الحادث مفيد . لكنهم لم يكفوا عن
مناقشة الحادث فيما بينهم ، بكل ما فيه من تطورات خطيرة
ادت لهلاك الكوكب الخامس .. وكان الاثنان وعشرون
أرضياً الذين جاءوا على السفينة (شامبيون) والذين بقوا
على المريخ ، يمارسون حياتهم بشكل عادي في بيئة
معادية ، وإن لم تكن أسوأ من قارة (أنتاركتيكا) على
الأرض . وقد مات أحدهم بما يعتقد أنه (تحطم قلب)
أو (حنين للوطن) ، وقد ألف حوله المريخيون مجدونه ،
ثم أعادوه إلى حيث ينتمي .. وبصرف النظر عن تلك
الحادثة ظل الأرضيون يمارسون حياة طبيعية ..

روايات مصرية للجيب .. روايات علمية ١١٥

بدلت الصحافة تفقد اهتمامها بـ (مايكل) ، وقد كف عن
أن يكون مصدرًا متجددًا للأخبار .. وقد حرص (جوبال)
على أن يبقى على خصوصية الفتى .. وإن ظل رجال
الشرطة السرية يحاصرون بيته .. وحرص (جوبال) كذلك
على أن تمر المكالمات الهاتفية بوسيلة انتقائية تسمح لعدد
محدود جدًا منها بالوصول ..

لما البريد فكان مشكلة حقيقية بسبب كثرة الخطابات ، دعك
من أن أحد الطرود تفجر قبل الموعد في مكتب البريد وأحدث
فوضى عامة .. فكر (جوبال) في أن يفحص خبراء المفرقات
كل الطرود قبل فتحها ، ثم وجد أن (مايكل) يستطيع عن
بعد تمييز الطرود التي (بها شيء خطأ) .. هكذا كان يجعلها
تختفي على الفور ، ووجد (جوبال) أن هذا أفضل من فتح
الطرود تحت الماء أو تصويرها بالأشعة السينية ..

بعض الخطابات كانت عروض زواج ، وبعضها كان جريئاً
يحوي ما هو أكثر من صور صريحة ، وقد قالت (جيل)
لـ (جوبال) إنها ستتخلص من هذه الخطابات بما فيها ،
فقال وهو يتأمل إحدى الصور :

« فتاة جميلة لكن لا بد من أن أعترف أنني عرفت من
هن أفضل .. هل الخطاب موجه لك أم له ؟ »

« له طبعاً .. »

« إنني ليس من حقل أن تعدى خطاباً موجهاً له ما دمت لست أمه .. لسوف يكبر الفتى .. لن يظل في هذا البيت كما يحفظون الحيوانات المعقمة في مختبرات (نوتردام) .. لا بد له من أن يواجه العالم الخارجي بما فيه من قذارة .. سوف يخرج للعالم ولسوف يقابل كاتبة الخطاب أو شقيقتها التوأم سوف يرى الكثير أنا أعرف أنه سيعيش بعدى رب ستمين أو سبعين عاماً ، فلن يبقى هذا المهد مفتوحاً له للأبد يجب أن يتخذ قراراته بنفسه إذا أردنا ألا يسقط في قبضة أول مائة امرأة تعجب به .. »

الحقيقة أن (مايكل) لم يكن يفهم الجمال الأنثوي قط ، وبالنسبة له كان يهتم بالمرأة نفس اهتمامه بفراشة غريبة .. عن جمال الوحوش كان يرى أن (جوبال) له أجمل وجه ممكن أما النساء فلهن وجوه تشعر بأنها لم تكتمل بعد ، وكلها متشابهة ..

النشاط الثاني الذي تعلمه (مايكل) كان شراء الهدايا لمن يحب كانت هذه هي الطريقة التي تفتق عنها عقل (جوبال) لتعليم (مايكل) القيمة الحقيقية للمال لقد احتاج إلى جهد جهيد كي يشرح للفتى معنى المال ، وكيف أن الدولارات ليست مجرد أوراق ملونة جميلة المنظر ..

بناء على دعوة من السيناتور (بون) ، اضطر (جوبال) والسكرتيرات و(جيل) إلى اصطحاب (مايكل) إلى جماعة (فوستر) ، وهي جماعة دينية غريبة الأطوار تتمتع بنفوذ هائل في البلاد ، ولهذا كان من العسير مناصبتها العداء . لكن (جوبال) كان يسخر منها في سره .. فهم يزعمون أنهم يتكلمون مع السماء هاتفياً ، ويعتقدون أنهم احتكروا الحقيقة ووكلائها الوحيدون ، كما أنهم يزعمون بأن مؤسس الجماعة (فوستر) هو رئيس الملائكة وقد نزل من السماء وتجسد . وكان (جوبال) يعرف أن لهذه الجماعة هدفين من دعوة (مايكل) .. بما أن (مايكل) هو أغنى رجل في العالم — باعتباره يمتلك كوكباً بأكمله — فهم يريدون ماله . وهم كذلك يريدون ضمهم لجماعتهم . لأن في هذا نصراً عظيماً لهم .

هناك قبلهم السيناتور (بون) والسيجار في يده ، وأقادهم إلى قاعة داخلية فاخرة كتب على بابها : « ممنوع دخول الخطاة .. هذا يعنيك أنت !! »

كانت هناك موسيقياً لم تتبناها (جيل) في البداية ، ثم عرفت أنها موسيقياً (الأجراس المجلجلة) وإن تمت إضافة طبول كونغولية إليها ..

كانوا يحتفظون بجثة (فوستر) الكاهن العجوز للجماعة محنطة ، محفوظة بشكل يوحى بأنه حي . وقد جلس على عرش عال .. وكان (مايكل) متوترًا طيلة الوقت . دنا من (جيل) وهمس في أذنها بالمريخية :

- « هل هذا واحد قديم ؟ »

ردت عليه باللغة التي بدأت تجيدها :

- « لا يا (مايكل) . ليس كما تعتبرونهم على المريخ .. »

- « هناك خطأ هنا . أسعر بالكثير من الخطأ .. »

سألها (بون) :

- « ماذا يقول أيتها السيدة الصغيرة ؟ ماذا كان سؤالك يا مستر (سميث) ؟ »

- « لا شيء يا سيدي . هل لي أن أخرج من هنا ؟ أوشك على فقدان الوعي .. »

كان هناك ضوء يتحرك على الوجه الميت ، ليعطي العينين بريقًا ويبدو الوجه كأنه يتحرك .. قال (بون) :

- « هذا هو ما تشعرين به أول مرة .. لأنك تشعرين بخطاياك بعد هذا تصوير هذه القاعة أجمل مكان في العالم . كثيرًا ما أتى هنا لأدخن سيجارًا وأأمل كلما شعرت بانخفاض مغوياتي .. »

كان مايكل (جيل) هو عدم ارتياح (مايكل) للمكان ، وخافت أن يقدم على شيء يتسبب في إعدامهم أو ما هو أسوأ .. لكن (مايكل) كان يشعر بخيبة أمل .. لقد توقع أن هذا (واحد قديم) فكتشف أنه ليس سوى طعام فاسد .. الأسوأ هو لقب (السيدة الصغيرة) الذي يناديها به (بون) . وقد قال لها (جوبال) فيما بعد : مادام اللقب يغيظك فلماذا لم تبصقي في وجهه ؟ إنه يريد (مايكل) لهذا هو مضطر للتعامل معنا بلطف وتهذيب ..

اتجهوا نحو الملاذ ، فاعترض طريقهم حارسان بثياب مزركشة يحملان الحراب .. فقال (بون) إن هؤلاء ضيوفه . وهكذا ظهر حاجب متأنق ودعاهم إلى مقصورة تطل على مسرح .. وهي مقصورة مريحة جدًا بها مقاعد قابلة للضبط ، ومنفضات تبغ ومناضد عليها مختلف المرطبات ..

وعلى المسرح وقف كاهن شاب يخاطب الجالسين مع الإيقاع للموسيقى :

- « هلموا ! حركوا مؤخراتكم . هل تريدون أن يأتي الشيطان فيجدكم نيامًا ؟ ! »

شكل الرافضون أنفسهم فى شكل شعبان طويل يزحف عبر القاعة ، وراحت الأقدام تفرع الأرض مع الإيقاع ، وشعرت (جيل) بنوع من الطرب ، لهذا ودت لو تتضمن لهذا الشعبان الطويل ..

كانوا يقنون :

« نحن سعداء .. »

« لماذا ؟ »

« لأن (فوستر) يحبنا ! »

وقف الرجل من جديد وقال :

« أول نشيد لنا تموكه مخابز (ماتا) التى تصنع (خبز الملائكة) رغيف المحبة ووجه زعيمنا الباسم على كل مغلف فليذهب طفلك إلى المدرسة غداً ومعه حلوى (فوستر) . وليقد كل رغيف خاطناً آخر إلى النور . »

وبدا الإنشاء ، وراح الشعبان يتلوى من جديد .

النشيد الثانى (الوجوه السعيدة مرتفعة) تموكه متاجر (داتلباوم) حيث يتسوق الناجون من الخطيئة . يوجد قسم خاص للأطفال تشرف عليه أخت ناجية ..

كل هذا أثار دهشة (مايكل) ، لكن الإيقاع والمؤثرات أشعته بإثارة لا حد لها ..

كان هذا كافياً بالنسبة لـ (جوبال) الذى قرّر أن ينصرف مع رفاقه ، لكن (بون) بدا غير مصدق .. من المستحيل أن ترحل من دون أن تقابل (الكاهن الأكبر) شخصياً . إنه بانتظاركم .. واقتادهم إلى مصعد صغير فى نفق . وبعد دقائق كانوا ينتظرون الرجل فى بهو كبير .

انفتح الباب ودخل رجل قصير القامة هو (ديجيسى) الكاهن الأكبر للجماعة ، وكان غارقاً فى العرق ، لأنه شارك فى الطقوس السابقة . تذكره (جوبال) على الفور وإن بدا كأنه كان أطول قائمة بفعل خداع الأضواء . ولم يمنع نفسه من الشعور بأنه تاجر سيارات مستعملة بابتسامته المداهنة الجاهزة . كانت هناك منضدة تراصت عليها الوجبات ، فراح (جوبال) يأكل بنهم ..

راح الكاهن الأكبر يعرض عليهم بعض آثار (فوستر) العظيم فى واجهة زجاجية .. اتهمك الجميع فى مشاهدة هذه الأشياء ، ورفق لـ (جوبال) تعبير الاستهجان الذى ظهر على وجهه (جيل) ، لكنها تحاول مدلولته . هنا لاحظ أن الكاهن الأكبر و (مايكل) اختفيا ..

قال (بون) مطمئناً :

- « لا تقلق .. هناك غرفة جانبية صغيرة للزوار المهمين .. »

قالت (جيل) همساً :

- « (جوبال) .. لا أحب هذا .. يبدو أنهم قد رتبوا أن
ينفرد الكاهن الأكبر بـ (مايكل) .. »

- « أنا على يقين من هذا .. »

- « ثم لا ندخل ونأخذه ؟ أعتقد أنهم يحاولون ضمه
لعقيدتهم .. »

قال (جوبال) وهو يضع بعض المايونيز على شطيرة :

- « لو حاولوا ضمه لعقيدتهم لانتهى الأمر وقد ضممهم
لعقيدته .. إن نظرتة الغريبة لكل شيء مربكة حقاً .. أما أنا
فلن أترك هذه الوجبة المجانية ، وإلا لما استحققت أن أكون
في اتحاد الكتاب .. »

طال الانتظار وبدأت (جيل) تقلق .. لذا اتجهت إلى باب
الغرفة وحاولت فتحه ، لتكتشف أنه مغلق بإحكام ..

قال (جوبال) لـ (بون) :

- « أرجو أن تسمح لنا بالانصراف .. »

- « لا توجد وسيلة للاتصال بالكاهن الأكبر إلا هاتفياً ..
لو كنتم مصريين ؟ »

- « نحن كذلك .. »

هنا وفر عليهم (مايكل) الحرج ، إذ خرج من الغرفة
الصغيرة ، وعلى وجهه تعبير أشار رعب (جيل) .. أدرك
(جوبال) أن الكاهن الأكبر ليس في الغرفة ، وإنما انصرف
من باب خلفي لها .. فقال (بون) :

- « هذه عادة لدى الكاهن الأكبر .. أن ينصرف بلا وداع ..
يقول إن كلمات الوداع لا تضيف شيئاً إلى بهجة الحياة ..
بالمناسبة سيارة التاكسي تنتظركم عند نهاية الممر .. هذا
سيوفر عليكم عشر دقائق ثمينة .. »

شكروه على هذه التجربة المثيرة ، وانصرفوا لابلوون
على شيء ...

لم يتكلم (مايكل) ولم يجب عن أية أسئلة .. فقط قال إنه بحاجة إلى بعض الوقت حتى يستوعب ..

هتفت (جيل) فى رعب :

- « (جوبال) .. كيف ينجو هؤلاء القوم بفعلتهم ؟ »

- « أية فطة ؟ »

- « هذه ليست دار عبادة .. إنها مستشفى مجانين .. »

- « بالعكس .. هذه هى العقيدة الجديدة .. ما فعله (ديجى) و(بون) هو أنهما استصلا آلاف الحيل العتيقة ، ودهناها بلون معاصر براق ، وهكذا صارا فى (البيزنس) .. وليس كأي (بيزنس) .. إنه يدر ما لأطفالاً .. إن هذه الرقصة للثعبانية التى رأيناها ما هى إلا تطوير لرقصات الهنود الحمر من أجل المطر .. كل ما أتمناه ألا أعيش حتى أرى نجاحهما المطلق ، كأن تفرض الدولة هذه العقيدة على الجميع .. (هتلر) بدأ ببضاعة أقل .. لم يكن لديه ما يبيعه سوى لكره .. إن لكره يبيع جيداً .. لكن الحب كذلك أفضل مبيعاً(*) .. »

(*) فى هذا الجزء مناقشة طويلة جداً - وجريئة جداً - عن الأديان بما فيها الإسلام والمسيحية .. وقد حذفتها غير آسف لأن مكانها ليس فى هذه السلسلة .

فى غرفته تكوّر (مايكل) على نفسه فى الوضع الجنينى .. كان يعرف أن (جيل) لا تحب أن يفعل هذا ، لكنه على الأقل يفعله بعيداً عن العيون .. كان بحاجة إلى أن يفهم كل ما سمعه اليوم .. بحاجة إلى أن يتأمل .. لم يستطع قط فهم مصطلحات مثل (دين) وما إلى ذلك .. وكان بحاجة إلى التأمل وحده ..

بعد ساعات نهض من الفراش وغادر الغرفة ...

وجد أخاه الماتى (جيل) لم يتم بعد .. وسره هذا ..

اقترحت (جيل) أن تحضر له عشاء .. هناك دجاجة باردة فى الثلاجة ، يمكنه أن يأكلها فى الخارج ، فهى ليلة شتاء دافئة تعتبر صيفاً مبكراً ، وهو ما يسمونه (الصيف الهندى) .. هكذا جلسا فى الشرفة يرمقان السماء ..

هتفت وهى تشير إلى نجم بعيد :

- « (مايكل) .. هل هذا الضوء هو المريخ ؟ »

- « هو المريخ .. »

- « ماذا يفعلون هناك الآن ؟ »

فكر قليلاً ، ثم قال :

- « الجانب الجنوبي ؟ يعلمون النباتات النمو .. بينما فى

للتاحية الأخرى ينقلون الحوريات اللاتي لم يقتلها حرّ الصيف
إلى الأعشاش .. «

- « عزيزي (مايكل) .. هل تشعر بالحنين للوطن ؟ »

أمسك بيدها وقال :

- « نعم .. في البدء كنت أشعر بكثير من الحنين للوطن ..
لكنني الآن أعرف أنني لن أكون وحيداً .. إتينا .. أعرف
هذا .. نقترب ... »

وهكذا جاء اليوم المحتوم حين جاء (مايكل) لـ (جوبال)
وهو يتناول إفطاره يخبره أنها قرّرا الرحيل اليوم ..

غطى (جوبال) وجهه بالمنشفة بلا داع ؛ ليداري لمحة
خفية أمل ، ثم قال :

- « تتكلم بصيغة المثني .. من سيرحل معك ؟ »

- « (جيل) تأتي معي .. إتني بحاجة إليها فهي تعطيني
كل شيء .. ثم إنها بدأت تتكلم المريخية .. لهذا أرجو أن
تسمح لي باصطحابها .. أعرف أن العالم مازال غامضاً
بالنسبة لي ، ومازلت أرتكب أخطاء .. لهذا (جيل) مهمة
لي .. وإلا اصطحبت (دوك) أو (لاري) البستاتي .. »

- « هل تعني أن لي الخيار ؟ »

- « طبعاً يا (جوبال) .. كلنا يعرف هذا .. »

- « لكن البيت مفتوح لك .. يمكنك العودة في أي وقت .. »

- « أعرف هذا يا أبي ! »

- « هه ؟ »

- « لا توجد لفظة (أب) في المريخية ، لكنني استوعبت أنك

أبي وأبو (جيل) .. »

نظر (جوبال) إلى (جيل) وقال :

- « ليكن .. لكن كونا حزينين .. »

- « سنفعل .. »

وفارقا المكان قبل أن يفارق هو مائدة الطعام ..



غريب في أرض غريبة

هذا هو (فالنتين مايكل سميث) .. الرجل القادم من المريخ ..
البريء في عالم متوحش .. الساذج في دنيا مضطربة بالتحقيدات ..
ما لا يعرفه هو أنه - قانوناً - المالك الوحيد لكوكب المريخ ، وما لا
يعرفه البشر هو أنه سيقبض وجه الأرض .. بفلسفته الغريبة ..
بقواه غير المعهودة .. بسذاجته التي لا ترى العالم كما نراه ...
(روبرت هاينلاين) وأعلى القصص مبهمة في تاريخ أدب الخيال
العلمي كله ..

53

العدد القادم (غريباء في أرض غريبة) الجزء الثاني

المؤسسة العربية للدراسات

الطبع والعمارة والفنون

دار النشر - بيروت - لبنان

طبعة ٢٠٠٠

سنة

الطبع في مصر ٢٠٠٠

وإمضاءه بالدولار الأمريكي

في سائر الدول العربية وقطاع

مطبع

٢٠٠٠